

الفصل الثالث: الطقوس التي يقوم بها الزوار عند قبر الحبيب نوح الحبشي.

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حكم الصلاة والذكر وتلاوة القرآن عند القبر.

المبحث الثاني: حكم إسراج القبر وتعطيره وكسوته وتقبيله.

المبحث الثالث: حكم الأذعية التي يقوم بها الزوار عند قبر الحبيب نوح.

المبحث الأول:

حكم الصلاة والذكر وتلاوة القرآن عند القبر.

تعود الزوار لضريح الحبيب نوح الحبشي على تلاوة القرآن الكريم وقراءة الدعاء والأذكار عند قبره.

أما قيام الصلاة عند قبره، فلم يكن يوجد لضيق المكان. لكن الباحثة ستطرق كذلك إلى حكم الصلاة عند القبر.

المطلب الأول: حكم الصلاة عند ضريح الحبيب نوح.

كثيراً ما تلتصق الباحثة بأن زوار مقامات الأولياء وأضرحة الصالحين، يعبدونها ويصلّون إليها، لا سيما زوار ضريح الحبيب نوح الحبشي بسنغافورة. وقد قامت الباحثة بملاحظة الظروف في هذا الضريح لا سيما في وقت ازدحام الزوار فيه كيوم الأحد وأيام العطلة، فلم تجد الباحثة من يأتي ويخضع سجدًا لضريحه ويعبده أو يصلي إليه بحيث يجعل قبره قبلة صلاة. هذا الأمر ما أكّده الحبيب طه البار خادماً للمقام²⁶⁶، وقال أيضاً: أن الخادم السابق²⁶⁷ قد أوصاه بعدة وصايا، ومن بينها ألا يسمح لأي واحد أن يسجد ويعبد هذا المقام²⁶⁸.

زاد الحبيب طه بأن الصلاة في حجرة المقام منهي عنها ومنعوعة، وقد سار خدام المقام وأعضاء الإدارة على هذا المنهج منذ زمن بعيد، وأنه سوف لا ولن يسمح لأي شخص أن يصلي تجاه المقام؛ لأن

²⁶⁶ العمل المنوط بخادم، ليس للمحافظة على نظافة المكان وتشغيل الكهرباء، بل يراقب أحوال الزوار وتصرفاتهم، فمن يعمل الخرافات منعه منها، ومن يكشف العورة أمره بارتداء ثوب خاص ليستر عورته، إضافة إلى توزيعه الأطعمة المطبوخة صدقة لزوار المقام.

²⁶⁷ يقصد به الشيخ حسن بن عبد الله الخطيب من 1963 إلى 5 إبريل 2008. سيد حسين بن السيد هارون الجنيد من 1 أغسطس 2008 م إلى 2009 م.

²⁶⁸ الحبيب طه بن السيد سالم البار. مراقب أحوال زوار ضريح الحبيب نوح. 13 نوفمبر 2015 م. عند ضريح الحبيب نوح. "أفعال زوار ضريح الحبيب نوح". (المقابلة الشخصية). الحبيب أبو بكر السقاف من 1866 إلى 1874. الحبيب حسين بن أبي بكر السقاف من 1874 إلى 1907. الشيخ محمد بن أحمد بالخير من 1907 إلى 1963. الشيخ حسن بن عبد الله الخطيب من 1963 إلى 5 إبريل 2008. السيد حسين بن السيد هارون الجنيد من 1 أغسطس 2008 إلى 2009. الحبيب طه بن السيد سالم البار من 2 نوفمبر 2009 إلى الآن.

الله فرد أحد لا شريك له، والحبيب نوح الحبشي إنما هو عبد من عباد الله الذي أوقف حياته للدعوة إلى دين الله -تعالى- وعبادته -جل وعلا-، ولن يرقى بشدة عبادته وتقواه إلى المرتبة الألوهية قط²⁶⁹. ومما يدل أيضا على جهد إدارة المسجد في منع الزوار لأداء الصلاة في حجرة المقام، أنهم يغلقون باب الحجرة ويوقفون الزيارة مؤقتا بقدر ربع ساعة قبل دخول وقت الصلاة، وربع ساعة بعد انتهاء أداء الصلوات المفروضة جماعة أو يزيد قليلا، وقد يصل إلى نصف الساعة حسب الازدحام الموجود. فقد أخذوا هؤلاء سبيل الاحتياط في غلق باب مدخل الضريح في هذه المدة، لكي لا ينتهز من أضمر في قلبه أفعال الخرافات والمنكرات أن يقوم بها عند الضريح وقت عدم وجود أحد فيه.

وتجد الباحثة أن الحبيب نوحا قد أشار إلى هذا المعنى بألا يجعل قبره موضع الصلاة²⁷⁰ حينما أوصى المسلمين قبيل وفاته بأن يتمسكوا بدين الله -تعالى-، ولا يعبدوا سواه، وأن يجتهدوا في الدفاع عن دين الله القويم الذي جاء به الرسول المبعي -صلى الله عليه وسلم-، وأن ينقوا اعتقادهم من دنائس الكفر وأعمال الشرك. وأوصى أيضا بأن لا يدفنوا في مقبرة المسلمين العامة، مع أنه سكن قريبا منها، بل أوصى أن يجعل قبره في طرف المدينة بعيدا عن الناس، فوق جبل صغير داخل الغابة التي تكون فيها الحشرات والوحوش الخطيرة. كما أمر صاحبه الحاج محمد صالح بإنشاء المسجد قريبا من قبره، ليعلم الناس بأن المعبود هو الله -تعالى-، وللتسهيل على أمة المسلمين بعده في قيامهم بفريضة الصلاة وناقلتها، حتى لا يقومون عند قبره لأداء هذه العبادة السامية²⁷¹.

²⁶⁹ الحبيب طه بن السيد سالم البار. 13 نوفمبر 2015. عند ضريح الحبيب نوح. "أفعال زوار ضريح الحبيب نوح". (المقابلة الشخصية).

²⁷⁰ المصدر السابق. هيئة الدعوة بمسجد الفردوس بسنغافورة. د. ت. *Lambang Terukir*. ص. 24، 31-33. (تمت الترجمة بعون

الله تعالى يعلى يد الباحثة).

²⁷¹ هذا قبل إزالة الغابة ونقل المسجد إلى جوار المقام لأجل التطور المدني.

وقد فطن المسلمون هذا المعنى، حيث قاموا بإنشاء الجدران حول المقام، وجعلوا له بابين للدخول والخروج، وقاموا ببناء الجدار الغربي قريباً من المقام على حد شبرين ونصف (خمسين سينتيمتر) وكذلك بين الجدار الشمالي والجنوبي إلى المقام. فلأجل ضيق هذه المساحة، لا يستطيع أحد أن يركع تجاه المقام فضلاً عن السجود إليه، ويجد الجالس في هذا المكان مشقة وصعوبة لضيقه. فالمكان مصان من أي أفعال تشرك بالله -تعالى-. وإذا افترضنا أن أحدا يصلي تجاه قبر الحبيب نوح الحبشي أو أي قبر ما، فلا يخلو فعله من أمرين:

الأمر الأول: إن كان الغرض من الصلاة تعظيم صاحب المقام وإقرار العبودية له وإثبات بعض الصفات الألوهية له، فهذا لا خلاف بين العلماء في تحريمه ويحكم فاعله بالكفر، إذ إنه يجعله نداً لله -تعالى-. والله وحده هو المعبود، الذي يستحق أن نعبد ونسجد له. وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد"²⁷². فإذا كان -صلى الله عليه وسلم- قد بلغ إلى ما لم يبلغ أحد من العالمين في عبادة الله -تعالى-، وينهى أمته من المسجود إلى قبره أو في اتجاهه بل دعى الله -تعالى- أن يحرز قبره من رجس الشرك ويحجبه من أن يُعبد، وأخبر بأنه لم يرق إلى مقام الألوهية، وهو أكثر وأشد خلق الله عبادة وطاعة، فما بال الآخرين من أمته الذين لم يصلوا إلى ما قد وصل إليه النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الأمر الثاني: إذا كانت الصلاة عند القبر خالياً من هذه الاعتقادات أي أنها مجرد الصلاة الخالصة لله تعالى لا لأجل القبور²⁷³ فقد اختلف فيها العلماء:

²⁷² الإمام أحمد بن حنبل. 1426 هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. أحمد محمد شاكر. ج. 1. ص. 13. رقم الحديث 7352. درجة الحديث: مرسل. الحديث رواه مالك عن عطاء مرسلًا. ورواه أحمد مسندًا من حديث أبي هريرة بدون كلمة يعبد.

²⁷³ كأن صلى واحد الجمعة في المسجد الواقع في منطقة المقررة، والمسجد في ذلك اليوم حافلاً بالناس حتى اضطر بعض المصلين أن يؤدوا صلاتهم خارج المسجد فصولوا جنب القبر.

ذهب الحنفية إلى جواز الصلاة في المقبرة مع الكراهية، وهذه رواية عن الإمام أحمد²⁷⁴ واختارها ابن عقيل²⁷⁵ مستدلاً بالأدلة الآتية:

- 1- عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: "نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الصلاة في سبع مواطن: في المذبة والمجزرة والمقبرة وقارة الطريق والحمام ومعائن الإبل وفوق ظهر بيت الله"²⁷⁶. في إسناده زيد بن جبيرة ذكره ابن حبان في المجروحين فقال: "يروي المناكير عن المشاهير، فاستحق التنكب عن روايته"²⁷⁷. وروي هذا الحديث كذلك عن الليث بن سعد عن عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر، وعبد الله بن عمر العمري ضعفه بعض أهل الحديث من قبل حفظه منهم يحيى بن سعيد القطان²⁷⁸. ورواه أيضاً ابن ماجه عن علي بن داود عن أبي صالح قال، حدثني الليث حدثني نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب مثله²⁷⁹. ومثل ذلك أورده ابن الجوزي في التحقيق بإسقاط عبد الله ابن عمر العمري²⁸⁰. قال ابن الملقن: "إن طريقة ابن ماجه أجود من طريقة الترمذي فعبد الله بن صالح ممن اختلف فيه، قال عنه أحمد: كان متمسكاً في أول أمره، ثم فسد بآخره، وليس هو بشيء". وقال أبو زرعة: "كان حسن الحديث، لم يكن ممن يكذب، بل كان يصاحب خالد بن نجيح، وهو ممن يفتعل

²⁷⁴ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. 2004 م. المغني. القاهرة: دار الحديث. ج. 2. ص. 263.

²⁷⁵ المرادوي، علي بن سليمان. 1997 م. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 1. ص. 449.

²⁷⁶ أبو عيسى الترمذي، محمد بن عيسى. 1395 هـ. سنن الترمذي. أحمد محمد شاكر وآخرون. الطبعة الثانية. ج. 2. ص. 177. رقم الحديث 346. أبواب الصلاة. باب ما جاء في كراهية ما يصلي إليه وفيه. وأخرج أيضاً ابن ماجه. 1430 هـ. سنن ابن ماجه. شعيب الأرناؤوط وآخرون. أبواب المساجد والجماعات. باب ما يكره في المسجد. ج. 1. ص. 480. رقم الحديث 748. درجة الحديث: إسناده ضعيف، لأن فيه زيد بن جبيرة وهو متروك الحديث.

²⁷⁷ ابن حبان. 2000 م. المجروحين. ج. 1. ص. 388.

²⁷⁸ الترمذي. 1983 م. سنن الترمذي. ج. 1. ص. 217.

²⁷⁹ ابن ماجه. د. ت. سنن ابن ماجه. كتاب المساجد والجماعات. باب المواضع التي تكره فيها الصلاة. ج. 1. ص. 246. رقم الحديث 747.

²⁸⁰ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. 1998 م. التحقيق في مسائل الخلاف. قلعي، عبد المعطي. القاهرة: دار الوعي العربي. ج. 2.

ص. 130. رقم الحديث 436.

الأحاديث ويضعها في كتب الناس²⁸¹. وقال عنه ابن حجر: "صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه الغفلة"²⁸². وقال الذهبي: "أبو صالح ليس بعمدة"²⁸³.

2- إن ابن عمر -رضي الله عنه- رأى رجلاً يصلي بالليل إلى قبر، فناداه القبر القبر، فظن الرجل أنه يقول القمر القمر، فجعل ينظر إلى السماء، فما زال به حتى بينه²⁸⁴.

3- ومن المعقول أن جهة القبلة يجب تعظيمها، ولا يحصل معنى التعظيم إذا كانت القبلة إلى هذه المواطن التي ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- ومنها المقررة²⁸⁵.

وعلى ذلك لما فيه من التشبه باليهود والنصارى، لحديثه -صلى الله عليه وسلم-: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"²⁸⁶. وقيل معنى النهي: إن المقابر لا تخلو عن النجاسات²⁸⁷، وعلى هذا فلا تجوز الصلاة فيها.

وقال صاحب البناء: "قلت ترك الناس الصلاة على قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، إنما كان خوفاً من أن يتخذ قبره -صلى الله عليه وسلم- مسجداً، ولم يكن ذلك لعدم مشروعية التنفل بها (تكرار صلاة الجنازة على النبي -صلى الله عليه وسلم-)، قلت: لا يلزم من الصلاة على قبر اتخاذه

²⁸¹ ابن الملقن، عمر بن علي. 2004 م. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير. الرياض: دار الهجرة. ج. 3. ص. 441-442.

²⁸² ابن حجر. تقريب التهذيب. ص. 315.

²⁸³ الذهبي، محمد بن أحمد. 1998 م. تنقيح التحقيق. قلعي، عبد المعطي. ج. 2. ص. 130. رقم الحديث 436.

²⁸⁴ الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود. 1406 هـ. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. الطبعة الثانية. د. م: دار الكتب العلمية. كتاب الصلاة. فصل شرائط أركان الصلاة. ج. 1. ص. 115. درجة الحديث: إسناده صحيح.

²⁸⁵ المصدر السابق. ص. 116.

²⁸⁶ سبق تخريجه في الهامش رقم 284.

²⁸⁷ الكاساني. 1406 هـ. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. الطبعة الثانية. د. م: دار الكتب العلمية. كتاب الصلاة. فصل شرائط أركان الصلاة. ج. 1. ص. 115؛ وذكره السرخسي، محمد بن أحمد. 1414 هـ. المبسوط. بيروت: دار المعرفة. ج. 1. ص. 206.

مسجداً، ألا ترى أنهم جوزوا أن يصلي عند قبور أهل العلم والأولياء مع مزيد اعتقاد العامة في التعظيم لهم الخارج عن الشرع²⁸⁸.

وذهب المالكية إلى جواز الصلاة عند المقبرة بلا كراهة إذا تحققت طهارته، وروي عن الإمام أحمد مثل ذلك²⁸⁹ وعبر عنه ابن عبدوس بالمذهب²⁹⁰. وعلل على ذلك بأنه موضع طاهر، فتجوز الصلاة عليه كمواضع أخرى. وكان الإمام مالك يصلي في المقبرة، والقبور أمامه وخلفه وعن يمينه وعن يساره. وقال: "لا بأس بالصلاة في المقبرة"، وقال أيضاً: "بلغني أن بعض أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا يصلون في المقبرة"²⁹¹. وأول أن في الحديث "نحى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة في سبع مواطن" إذا تحقق فيها المجلس، وإن لم يتحقق فلا مانع؛ جمعا بين الأدلة، إلا أن ابن حبيب فرّق بين قبور المسلمين والمشركين، فأجاز في الأول ومنع في الثاني²⁹².

وذهب الشافعية²⁹³: أن للمقبرة ثلاثة أحوال:

- 1- مقبرة قد نبشت فجعل أسفلها أعلاها، فهذه لا تصح الصلاة فوقها؛ لأنها قد اختلطت بتربتها الصديد. وحمل على النهي عن الصلاة في المقبرة؛ لأجل نجاستها. هذا وإن لم يسيط تحت المصلي شيئاً كالحصير.

²⁸⁸ العيني، محمود بن أحمد. 1980 م. البناية شرح الهداية. بيروت: دار الفكر. ج. 3. ص. 247.

²⁸⁹ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. 2004 م. المغني. القاهرة: دار الحديث. ج. 2. ص. 263.

²⁹⁰ المرداوي، علي بن سليمان. 1997 م. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف. ج. 1. ص. 449.

²⁹¹ مالك بن أنس. 1994 م. المدونة الكبرى. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 1. ص. 182؛ الدردير، أحمد بن محمد. د. ت. الشرح

الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك. القاهرة: دار المعارف. ج. 1. ص. 267.

²⁹² القرافي، أحمد بن إدريس. 1994 م. الذخيرة. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ج. 2. ص. 96.

²⁹³ العمراني، يحيى بن سالم. 2007 م. البيان في مذهب الإمام الشافعي. الرياض: دار المنهاج. ج. 2. ص. 109-110؛ النووي، يحيى

بن شرف. د. ت. المجموع. جدة: مكتبة الإرشاد. ج. 3. ص. 164-165.

2- مقبرة تحققت بأنها لم تنبش، فهذه تكرر الصلاة مع صحتها عليها؛ لنهييه - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة على المقبرة، ولأنها مدفن النجاسة. أما صحة الصلاة، فلأن النجاسة تحت الأرض، وأجزاء الأرض تحول بين النجاسة والمصلي.

3- مقبرة شُكِّ فيها هل نبشت أو لا. فللشافعية فيها قولان: أحدهما: لا تصح لعموم الخبر، ولأن الظاهر تكرار النبش فيها. والثاني: تصح الصلاة مع الكراهة؛ لأن الأصل عدم النبش، وعبر عنه النووي بالأصح. وذهب الحنابلة إلى أن الصلاة في المقبرة لا تصح بحال، وإن كانت فرضاً، فوجب إعادته²⁹⁴. وهذه الرواية هي أشهر رواية وأصحها عن الإمام أحمد²⁹⁵. ويستثنى من ذلك قبر أو قبرين أو قبر يكون في البيت أو المبنى؛ لأن هذا يسمى بالمقبرة على الصحيح من مذهب الإمام أحمد: وقيل: يضر²⁹⁶. وحمل معنى النهي على التبعيد²⁹⁷.

والحاصل أن فريقاً من العلماء هذه الصلاة على المقبرة²⁹⁸، ومنهم من لا يكرهه²⁹⁹. ومنهم من قال بأن النهي للتبعيد، ومنهم من علله بالنجاسة، والتعبد بغير المسلمين.

ومنشأ اختلافهم تعارض ظواهر الآيات في الباب، وذلك أن هناك الحديث الذي يدل بعمومه على صحة الصلاة وجوازها في أي أرض طاهرة، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغنم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه

²⁹⁴ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. 2004 م. المعنى. القاهرة: دار الحديث. ج. 2. ص. 263.

²⁹⁵ المرادوي، علي بن سليمان. 1997 م. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف. ج. 1. ص. 449.

²⁹⁶ المصدر السابق.

²⁹⁷ ابن مفلح، محمد بن مفلح المقدسي. 1997 م. الفروع. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 2. ص. 106.

²⁹⁸ ومن روي عنهم ذلك: علي وابن عمر وابن عباس وعكرمة والنخعي.

²⁹⁹ النووي. د. ت. المجموع. ج. 3. ص. 165.

خاصة وبعثت إلى الناس عامة³⁰⁰. وتوجد أيضا الأحاديث الصالحة لتخصيص هذا العموم كنهيه - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة في سبع مواطن، و"اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا"³⁰¹. وقوله - صلى الله عليه وسلم -: "الأرض كلها مسجد إلا الحمام والمقبرة"³⁰². وقوله - صلى الله عليه وسلم - أيضا: "ألا فلا تتخذوا القبور مساجد"³⁰³.

فهذه المسألة مبنية على تعارض الأصل والغالب، فذهب الناس في هذه الأحاديث ثلاثة مذاهب³⁰⁴:

- ³⁰⁰ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب التيمم. ج. 1: 74. 335. وفي كتاب الصلاة. باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا. ج. 1: 95. 438. الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. ج. 1: 370. 521. النسائي. 1406 هـ. السنن الصغرى. عبد الفتاح أبو غدة. الطبعة الثانية. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. كتاب المغسل والتيمم. باب التيمم بالصعيد. ج. 1. ص. 209. رقم الحديث 432. درجة الحديث: صحيح.
- ³⁰¹ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب استحباب صلاة النافلة في بيته وقصرها في المسجد. ج. 1: 538. 777. وأخرجه أحمد بن محمد بن حنبل. 1421 هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج. 40. ص. 429. رقم الحديث 24366. وأخرجه البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو. 2009 م. مسند البزار. محفوظ الرحمن زين الله وآخرون. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. ج. 12. ص. 36. رقم الحديث 5421.
- ³⁰² أحمد بن محمد بن حنبل. 1421 هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج. 18. ص. 410. رقم الحديث 11919. وأخرجه أبو داود. 1430 هـ. سنن أبي داود. شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي. كتاب الصلاة. باب في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة. ج. 1. ص. 395. رقم الحديث 492. درجة الحديث: حديث صحيح، وقد اختلف على عمرو بن يحيى في وصله وإرساله، والصحيح وصله. حماد هو ابن سلمة، وعبد الواحد هو ابن زياد، ويحيى هو ابن عمارة المدني.
- ³⁰³ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد. ج. 1: 377. 532.
- ³⁰⁴ ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد. د. ت. بداية المجتهد ونهاية المقتصد. سمانج: طه فواتر. ج. 1. ص. 85؛ القراني، أحمد بن إدريس. 1994 م. الذخيرة. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ج. 2. ص. 96.

أحدها: مذهب الترجيح والنسخ أو يرجح الأصل على الغالب. فأخذ الحديث المشهور وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: "وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"، وذهب بأن هذا الحديث ناسخ لغيره، لأنه من فضائل النبي -صلى الله عليه وسلم- وذلك مما لا يجوز نسخه³⁰⁵.

الثاني: مذهب البناء، أي بناء الخاص على العام أو يقدم الغالب على الأصل. فقال بأن حديث الإباحة عام، وحديث النهي الخاص، فيجب أن يبنى الخاص على العام، فيستثنى لأجل تخصيص المقبرة من جواز الصلاة على جميع وعموم الأرض³⁰⁶.

الثالث: مذهب الجمع؛ فذهب بأن أحاديث النهي عن الصلاة في المقبرة محمولة على الكراهة، والأول على الجواز. وإليه ذهب الحنفية وهي الرواية عن الإمام أحمد³⁰⁷ واختاره ابن عقيل³⁰⁸.

والحاصل أن فريقا من العلماء كره الصلاة على المقبرة، ومن روي عنهم ذلك: علي، وابن عمر، وابن عباس، وعكرمة النخعي، ومنهم من لا يكرهه كأبي هريرة، ووائل بن الأسقع، والحسن البصري³⁰⁹. ومنهم من قال بأن النهي للتعبد، ومنهم من علله بالتجاسة، والتشبه بغير المسلمين.

الترجيح: ترى الباحثة بمنع الصلاة عند القبر، ثم إن الحكم عليها بالكراهة أو التحريم يرجع إلى عرف البلد، لأن العادة محكمة. فإن كان المجتمع المسلم في البلد ضعيف الإيمان، وكانت الخرافات منتشرة، وأهل الفساد يترقبون إلى الفرصة لإقامة البدع عند المقام، فالحرام.

³⁰⁵ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله. 1421 هـ. الاستاكار. سالم محمد عطا ومحمد علي معوض. بيروت: دار الكتب العلمية.

ج. 1. ص. 96-95.

³⁰⁶ ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد. د.ت. بداية المجتهد ونهاية المقتصد. ج. 1. ص. 85.

³⁰⁷ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. 2004 م. المغني. القاهرة: دار الحديث. ج. 2. ص. 263.

³⁰⁸ المرداوي، علي بن سليمان. 1997 م. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 1. ص. 449.

³⁰⁹ النووي، يحيى بن شرف. د.ت. المجموع. ج. 3. ص. 165.

فإنه قد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم

مساجد"³¹⁰، والمقصود من (مساجد)، أي قبلة الصلاة، يصلون إليها أو بنوا عليها ويصلون فيها³¹¹.

فذم النبي -صلى الله عليه وسلم- فعلهم، وزجرهم عن هذا³¹².

وإن أمنت كل الأشياء المذكورة آنفاً، فالصلاة عند القبر مكروهة؛ لعل النجاسة، فإذا انتفت

النجاسة انتفى المنع، حيث إن الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدماً. إلا أن الحصر في علة المنع في النجاسة

فقط غير مسلم به، فقد ذكر بأن علة المنع الأخرى هي لأجل حرمة الميت أو تعظيم الصلاة، فمن أجل

هذا لم يشترع في صلاة الجنائز الركوع ولا السجود أو لما يكون فيه من التشبه باليهود³¹³. وقد سئل الإمام

الدارمي هل تجزئ الصلاة في المقبرة، قال: "إذا لم تكن على القبر فنعم"³¹⁴. ثم الحديث: "جعلت لي

الأرض مسجداً وطهوراً" عام مخصوص بالحديث منع الصلاة على القبر.

وقد بَوَّب الإمام البخاري في صحيحه: ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور³¹⁵. وذكر فيه

قصة أنه لما مات الحسن بن الحسن بن علي ضربت امرأته القبة على قبره سنة، ثم رفعت، فسمعوا صائحا

يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟"، فأجابته الأخرى: "بل ينسوا فانقلبوا"³¹⁶. فالمقيمون في الفسطاط لا يخلون

³¹⁰ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناشر. كتاب الصلاة. باب الصلاة في البيعة. ج. 1: 95.

#437؛ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد. ج 1: 376. #530.

³¹¹ السندي، محمد بن عبد الهادي. 2010 م. شرح السندي على سنن الترمذي. القاهرة: دار الحديث. ج. 2، ص. 544.

³¹² العسقلاني ابن حجر، أحمد بن علي. 1986 م. فتح الباري شرح صحيح البخاري. القاهرة: دار الريان للتراث. ج. 1، ص. 634.

³¹³ ابن حبان، محمد بن حبان. 1993 م. صحيح ابن حبان بترتيب لبیان. بيروت: مؤسسة الرسالة. كتاب الصلاة. باب ذكر بعض العلة التي من أجلها زجر عن الصلاة في القبور. ج. 6. ص. 95. آبادي، أبي طيب محمد شمس الحق العظيم. د. ت. عون المعبود شرح سنن أبي داود. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ج. 2، ص. 117.

³¹⁴ الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن. د. ت. سنن الدارمي. حسين سليم أسد الداراني. المملكة السعودية العربية: دار المغني.

كتاب الصلاة. باب الأرض كلها طاهرة ما خلا المقبرة والحمام. ج. 2. ص. 874. رقم الحديث 1430. درجة الحديث: إسناده صحيح.

³¹⁵ كتاب الجنائز. ج. 2: 88.

³¹⁶ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناشر. كتاب الجنائز. باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور.

ج. 2: 88. #1330.

من الصلاة هناك، فيلزم اتخاذ المسجد عند القبور، وقد يكون القبر من جهة القبلة. فإن كان محرماً لجزءها المسلمون، والعلماء وقتئذ كثر ولم ينهوها عنه، ففهم من ذلك أن النهي حمل على الكراهة. ومما يدل على ذلك أيضاً أنه قد جاءتها الموعظة على لسان الهاتفين، ولعله من الملائكة أو المؤمن من الجن بتقريب ما صنعت بعدما رفعت الفسقاط³¹⁷. فالنهي إنما جاء خوفاً من المبالغة في تعظيم القبر والافتتان به³¹⁸، وإنه لا يجوز أن يحرم شيئاً ما لا يثبت، خصوصاً إن أمن من الأمور المذكورة في علة التحريم.

ثم إن ادعاء النسخ غير مسلم منه حيث أمكن الجمع. فالحديث الذي يدل على طهارة جميع بقاع الأرض تخصه الأحاديث التي ذكرت النهي من الصلاة في عدة مواضع منها المقبرة. والقول إن الحديث، "جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً" كان في فضل النبي -صلى الله عليه وسلم- وخصوصيته -صلى الله عليه وسلم- فلا يجوز نسخه ولا تخصيصه ولا الاستثناء. وهذا الذي يظهر للباحثة إلا أنه إذا طرأ على الأرض وصف آخر، فقد أخرجها من طهوريتها ومسجديتها، كأن تكون على الأرض النجاسة، فلا تجوز الصلاة عليها لوصف طارئ. فالحديث "جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً" على اعتبار أصليتها، والحديث الذي يمنع الصلاة على بعض الأماكن باعتبار وصف طارئ ومنه كونه قبراً، فلو زال هذا الوصف صحت الصلاة عليها. ومثال ذلك المسجد النبوي حيث كان في أول أمره مغفرة للمشركين، فهذه المقبرة تمنع طهورية الأرض ومسجديتها، ولما أزيلت هذه المغفرة أي لوصف الطارئ على الأرض، رجع إليها طهوريتها ومسجديتها³¹⁹. والروايات التي تأتي بعد قليل تدل على أن السلف أقام الصلاة عند القبر: "عن

³¹⁷ العسقلاني ابن حجر، أحمد بن علي. 1986 م. فتح الباري شرح صحيح البخاري. القاهرة: دار الريان للتراث. ج. 3. ص. 238.

³¹⁸ النووي، يحيى بن شرف. د. ت. شرح النووي لصحيح المسلم. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 5. ص. 13.

³¹⁹ الماوردي، أبو الحسن بن محمد. 1419 هـ. الحاوي الكبير. علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلمية.

العطاف بن خالد³²⁰، حدثني خالتي قالت: "ركبت يوماً إلى قبور الشهداء - وكانت لا تزال تأتيهم - فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله أن أصلي، وما في الوادي داع ولا محيب، إلا غلاماً قائماً أخذاً برأس دابتي، فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي: السلام عليكم"³²¹. وفي رواية أخرى: "أن فاطمة بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام فتصلي وتبكي عنده"³²². فمتى سلمت الصلاة من اعتقاد المصلي عبادة الغير فتجوز إقامتها، أما الذي يدري أن نفسه لا تسلم من وسواس الشيطان فتحسن له ترك الصلاة عند القبر، وأما بوجود النجاسة عند القبر، أو احتمال وجودها فتحرم على الإطلاق.

المطلب الثاني: حكم تلاوة القرآن الكريم بجوار القبر.

ومن العادات الغائيات لدى زوار ضريح الحبيب نوح الحبشي، أنهم يتلون كتاب الله القديم عند ضريحه. وكان الغرض من هذه التلاوة متنوعة، كما حصلت عليه الباحثة من خلال مقابلتها بعض الزوار. تستطيع الباحثة أن تلخص هذه الأغراض إلى ثلاثة نقاط رئيسية، أولها: منهم من اعتقد أن تلاوة القرآن على القبر مشروعة، وهي ضمن الأمور المطلوبة على الزوار القيام بها أثناء زيارتهم. ثانيها، منهم من اعتقد أن التلاوة ستنفع أهل القبر، وتزيد حسناتهم. وثالثها، إن بعضهم يترك بأهل القبر الصالح؛ ليزيد نشاطهم في العبادة، وتعلقهم بالعمل الصالح. وهذه الأغراض الثلاثة ستناولها الباحثة في هذا المبحث إن شاء الله.

³²⁰ ولد سنة إحدى وتسعين. وله أخوان؛ المسور، وعبد الله. روى عن: نافع مولى ابن عمر، وزيد بن أسلم، وأبي حازم الأعرج، وجماعة. وعنه: سعيد بن أبي مريم، وأبو اليمان، وآدم بن أبي إياس، وسعيد بن منصور، وقتيبة، وأبو مصعب، وآخرون. قال أبو داود: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: ليس بذلك. وقال أحمد بن حنبل: ثقة، له نحو من مائة حديث. (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. 2003 م. تاريخ الإسلام. بشار عؤاد معروف. د. م: دار الغرب الإسلامي. ج. 4. ص. 691).

³²¹ ابن كثير. 1418 هـ. البداية والنهاية. عبد الله بن عبد المحسن التركي. د. م: دار هجر. باب ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أحد. ج.

5. ص. 442.

³²² البيهقي. 1405 هـ. دلائل النبوة. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 3. ص. 306.

الفرع الأول: مدى صلاحية تلاوة القرآن الكريم على القبر.

المقصود من هذا الفرع هو بيان مدى صلاحية تلاوة القرآن الكريم في القبر كأن يمر الشخص بالقبر مروراً ويقرا القرآن حين مروره هذا أو كأن ينتظر وصول الجنازة إلى المقبرة فيقرأ القرآن الكريم أم عليه أن يمسك عن التلاوة بتاتا كلما دخل إلى المقبرة ككون الحمام بغض النظر عن غرض التلاوة. فالعلماء اختلفوا في هذه المسألة على المذاهب الآتية:

المذهب الأول: إن تلاوة القرآن الكريم على القبر لم تكن مشروعة ولم تكن ضمن سنن زيارة القبور³²³. واستدل بما يلي:

الأمر الأول: لم ينقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا الصحابة الكرام أنهم يذهبون إلى المقابر لتلاوة القرآن الكريم. ولو كان ذلك مما يزيد في الخشوع والتدبر، لذهبوا إليها ليتلوا كتاب الله فيها³²⁴. واعترض: بأن عدم النقل لا يلزم عدم الوجوب، وعدم الوجوب لا يدل على عدمه، كما أن عدمه لا يدل على عدم الجواز³²⁵.

فترجو الباحثة الانتباه من القارئ، بأن المسألة هنا لا تناقش عن مشروعية تلاوة القرآن الكريم، أو سنيتها، أو تحري المقبرة للتلاوة، وإنما تتكلم في صلاحية المقبرة بأن تكون مكانا للتلاوة كأن واحدا ينتظر وصول الجنازة وأثناء انتظاره يقرأ القرآن الكريم أو يمر فيها وهو يتلو القرآن الكريم، فهل عليه أن يقف عن تلاوته فوراً ولا يمكنه أن يستمر التلاوة؟

³²³ الألباني، محمد ناصر الدين. د. ت. تلخيص أحكام الجنائز. عمان: المكتبة الإسلامية. ص. 102؛ الصويلح. د. ت. الوحي في حكم

زيارة القبور. ص. 23.

³²⁴ Suhaimi, Muhammad. 2015. "Tilawah Yang Berdosa". Lecture.

³²⁵ السيناوي، حسن بن عمر. 1928 م. الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع. تونس: مطبعة النهضة. ج. 2. ص. 112؛ علي، عبد الكريم. 1999 م. المذهب في علم أصول الفقه المقارن. الرياض: مكتبة الرشد. ج. 4. ص. 1948.

فالصحابة -رضي الله عنه-م كانوا يتلون القرآن الكريم في المساجد وفي بيوتهم وحصل لهم الاعتبار من تلك التلاوة. أما أناس الآن، فمعظمهم لا يحصلوا على ذلك الاعتبار إلا بمشاهدتهم المقبرة فتلمس تلك البيئة والوحشة قلوبا ومشاعرا، فإيمان الصحابة وإيمان الناس بعدهم لا سيما المعاصرين يختلف مرتبة ويتفاوت مقدارا، والله -تعالى- أمرنا بالنظر إلى بلد هزمها الله -تعالى- أهلها لعنادهم وكفرهم وأمرنا تعالى باعتبار حال قوم عندهم لجحدهم وطغيانهم كقوم ثمود ولوط وأصحاب مدين وفرعون وغيرهم، وذلك للحصول منها فائدة الرؤية والمشاهدة، ولأن الرؤية والنظر لديه أكثر تأثيرا من الكلام المجرد، فلا يمكن أن نسوي مدى يقين بقيمة إيمان الأصحاب بالأناس المعاصرين. فلا هناك قياس في الأشخاص، تفيد هذه القاعدة أن الأشخاص تقام فيهم الصفات المختلفة والمعاني الباطنية المختصة بكل واحد منهم، فيمتنع جريان القياس بينهم بعضهم على بعض³²⁶. والدليل على ذلك ما قصه السيوطي أن عمر بن عبد العزيز أتى بكاتب يخط بين يديه، وكان مملوكا وأبوه كافرا. فقال عمر للذي جاء به: "لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين". فقال الكاتب: "يا ضرير، رجل الله كفر أبيه". فقال عمر: "وقد جعلته مثلا؟ لا تخطط بين يدي بقلم أبدا". قال السيوطي: "فكان الكاتب قصد بهذا الكلام الاحتجاج والاستدلال على نفي نقص عنه"³²⁷.

فهؤلاء الصحابة ومن بعدهم سيكون ويدمعون عند التلاوة للقرآن الكريم، ويحصل لهم كمال التدبر والخشوع لما في أنفسهم قوة إيمانية. بيد أن الآخرين من الناس لا يكون لديهم هذه القوة ولا الاستشعار فرب رجل تلا القرآن في المقابر واستشعر وحشتها وعرف ما فيها من العذاب ويعاينها، حصل لهم بذلك

³²⁶ جمعة، علي. 2004 م. مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين. القاهرة: مكتبة الرسالة. ص. 88-89.

³²⁷ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. 1959 م. الحاوي للفتاوي. القاهرة: مكتبة التجارية. ج. 1. ص. 365.

الخشوع والرجاء، وهذه وسيلة تعليمية بصرية تقرب إلى ذهن الرجل الشرع النظري للموضوعات³²⁸، وأقرب لنفوسهم للاستشعار.

الأمر الثاني: إن هدف الزيارة هو تذكّر الموت والآخرة، فالقبر ليس محلاً للتلاوة، بل إن المساجد والبيوت هي موضع التلاوة، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"³²⁹. وقوله: "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً"³³⁰، ففيه إشارة إلى أن القبر ليس موضعاً للقراءة شرعاً.

المذهب الثاني: يجوز تلاوة القرآن الكريم على القبر ويستدل بما يأتي:

- 1- جاء الأمر بتلاوة القرآن على وجه الإطلاق³³¹. ومن المقرر أن الأمر المطلق يقتضي عموم الأمكنة والأزمنة والأشخاص والأحوال، فلا يجوز تقييد هذا الإطلاق إلا بالدليل؛ لما فيه من التضيق لما وسعه الله

³²⁸ Al Junied, Sharifah Farah, 2016, *Islamic education: exploring the prophetic pedagogies*. Lecture. 28 May.

³²⁹ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد. ج. 1: 539. #212.

³³⁰ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب الصلاة باب كراهية الصلاة في المقابر. ج. 1: 94. #432. وفي كتاب التهجد. باب التطوع في البيت. ج. 2: 60. #1187. الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد. ج. 1: 538. #208. وفي ج. 1: 539. #209. الإمام الترمذي. 1395 هـ. سنن الترمذي. أحمد محمد شاكر وآخرون. الطبعة الثانية. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. أبواب الصلاة. باب ما جاء في فضل صلاة التطوع في البيت. ج. 2. ص. 313. رقم الحديث 451. بلفظ: "صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً". درجة الحديث: هذا حديث حسن صحيح. والمثني في صحيح مسلم وسنن الترمذي بلفظ: "صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً". أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق. د. ت. سنن أبي داود. صيدا: المكتبة العصرية. كتاب الصلاة. باب صلاة الرجل التطوع في بيته. ج. 1. ص. 273. رقم الحديث 1043. درجة الحديث: حكم عليه الألباني بأنه صحيح. وفي كتاب الصلاة. باب فضل التطوع في البيت. ج. 2. ص. 69. رقم الحديث 1448. درجة الحديث: حكمه الألباني صحيح.

³³¹ جمعة، علي. 2003 م. حكم تلاوة القرآن على الميت. القاهرة: مكتبة الأزهر. ص. 2.

-تعالى-³³². وعلى ذلك فتلاوة القرآن الكريم على القبر سواء كان في أثناء الدفن أو بعده وإن طال الزمان مشروعة، ابتداء بعموم النصوص الدالة على مشروعية تلاوة القرآن الكريم.

2- ومن الأحاديث الشريفة، ما يلي:

أ- روي عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال: "قال لي أبي -اللجلاج أبو خالد-: "يا بني إذا أنا مت فألحدني، فإذا وضعتني في لحدي فقل: بسم الله، وعلى ملة رسول الله، ثم سُن علي التراب سنا -أي ضعه وضعاً سهلاً- ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك"³³³.

وعبد الرحمن بن العلاء هذا قال عنه ابن حجر: "مقبول"³³⁴، وذكره ابن حبان في الثقات³³⁵، وروى له الترمذي حديثاً واحداً³³⁶. وقال الهيثمي أن رجال هذا الحديث موثقون. وحسن إسناده الغماري معقبا على قول الهيثمي.

إلا أن الألباني رد على تحسين الغماري لهذا الحديث بقوله: "موثقون" غير "ثقات" عند من يفهم الهيثمي واصطلاحه، وهو يعني أن بعض رواة توثيقه ليسوا وهو يقول هذا في الغالب فيما تفرد بتوثيقه ابن حبان، ولا يكون روى عنه إلا راو واحد، وهذا هو الواقع في عبد الرحمن هذا كما هو مبين هناك". أما قول ابن حجر أن عبد الرحمن هذا مقبول يعني أن حديثه يقبل إذا توبع وإن تفرد برواية فلم يقبل منه.

³³² الزحيلي، وهبة. 2004 م. أصول الفقه الإسلامي. بيروت: دار الفكر. ج. 1. ص. 208.

³³³ أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد. د. ت. المعجم الكبير. حمدي بن عبد المجيد السلفي. الطبعة الثانية. القاهرة: دار ابن تيمية. ج.

19. ص. 220. رقم الحديث 489. درجة الحديث إسناده ضعيف.

³³⁴ ابن حجر. 1991 م. تقريب التهذيب. ص. 348. رقم الحديث 3975.

³³⁵ ابن حبان. 1973 م. الثقات. ج. 7. ص. 90.

³³⁶ ابن حجر. 1326 هـ. تهذيب التهذيب. ج. 6. ص. 247. رقم الحديث 492؛ المزي. 1992 م. تهذيب الكمال. ج. 17.

فشطر الأول من هذا الحديث له شواهد أما الشطر الأخير فلا. فإشارة ابن حجر في التقريب يدل على أن الرجل ليس له من الحديث إلا القليل ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله، وإليه الإشارة بلفظ مقبول، حيث يتابع، وإلا فلين الحديث³³⁷.

وأبوه العلاء تابعي ثقة³³⁸ وذكره في الجرح والتعديل³³⁹. وقد سأل عباس الدوري يحيى بن معين عن القراءة عند القبر فقال: "حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه قال لبنيه: "إذا أدخلتوني قبري ووضعتوني في اللحد، فقولوا: "بسم الله وعلى ملة رسول الله وسنوا علي التراب منا وافرؤوا عند رأسي أول البقرة وخاتمتها، فإني رأيت ابن عمر يستحب ذلك"³⁴⁰. وبعض العلماء رأوا أن الحديث صحيح من أجل شواهد، ولكن الشطر الأخير "ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها"، تفرد بهذه زيادة عبد الرحمن بن العلاء بين سائر ثقات وهو مقبول، والمقبول يقبل حديثه إذا توبع، وإذا تفرد برواية فهي مردودة. أما بعض العلماء أفتوا بصحة الحديث كابن حجر ومن المعاصرين كالمحدث الشيخ الغماري وأحمد عمر هاشم المصري³⁴¹.

ب- روى الطبراني، ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، وأسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب، وعند رجله بخاتمة

³³⁷ الألباني. 1412 هـ. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة. الرياض: دار المعارف. ج. 9. ص. 154. عوامة،

محمد. مقدمته على تحقيق التقريب. ص. 24.

³³⁸ المصدر السابق. ج. 8. ص. 191. رقم الحديث 345.

³³⁹ أبو حاتم الرازي. د. ت. الجرح والتعديل. ج. 5. ص. 272.

³⁴⁰ المزني. 1992 م. تهذيب الكمال. ج. 22. ص. 538-537.

³⁴¹ دار الإفتاء المصرية. 2013 م. "حكم تلاوة القرآن على الميت". <http://www.dar-alifta.org> 21 مايو.

سورة البقرة في قبره³⁴². حديث ضعيف جدا وفيه يحيى بن عبد الله البجلي، وهو ضعيف كما قال الحافظ في التقريب. وفيه أيضا، شيخه أيوب بن خنيك، ضعفه أبو حاتم وغيره.

ج- عن أم حنيفة النهدية أنها قالت بايعنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين بايع النساء، فأخذ عليهن ألا تحدثنا الرجل إلا محرما، وأمرنا على أن نقرأ على ميتنا بفاتحة الكتاب³⁴³.
حديث ضعيف كما ذكره الهيثمي في المجمع لما فيه عبد المنعم أبو سعيد³⁴⁴.

وجه الاستدلال: يظهر من هذه الأحاديث أن القبر صالح أن يكون محلا لتلاوة القرآن الكريم فيه ولو كان غير صالح فسيمنع من التلاوة ولو عند الدفن فالقبر لم يكن كالحمام الذي يجب أن يحتنب التلاوة فيه.

³⁴² الطبراني. د. ت. المعجم الكبير. حمدي بن عبد المجيد السلفي. الطبعة الثانية. ج. 12. ص. 444. رقم الحديث 13643، وأخرجه أبو بكر البيهقي، أحمد بن الحسين. 1423 هـ. شعب الإيمان. عبد العلي عبد الحميد حامد ومختار أحمد الندوي. الرياض: مكتبة الرشد.
ج. 11. ص. 471. رقم الحديث 8854. درجة الحديث: إسناده حسن كما قال الحافظ في الفتح. وقد روي هذا الحديث موقوفاً على ابن عمر -رضي الله عنهما-، كما أخرجه الخلال في جزء القراءة على القبور والبيهقي في السنن الكبرى.
³⁴³ الطبراني. د. ت. المعجم الكبير. حمدي بن عبد المجيد السلفي. الطبعة الثانية. ج. 25. ص. 168. رقم الحديث 40.
³⁴⁴ الهيثمي. 1994 م. مجمع الزوائد. ج. 3. ص. 138. رقم الحديث 4157. وأخرجه الطبراني. د. ت. المعجم الكبير. الطبعة الثانية. ج. 25. ص. 168. رقم الحديث 410. درجة الحديث: ضعيف لأن في سنده عبد المنعم أبو سعيد؛ وهو متروك كما قال ابن حجر في التقريب، وفيه أيضاً: الصلت بن دينار، وقال عنه أبو أحمد الحاكم: متروك الحديث.

د- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اقرأوا يس على موتاكم"³⁴⁵. وقال أيضا: ". . . و﴿يس﴾" قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، اقرؤها على موتاكم"³⁴⁶. وروى ابن حبان باللفظ: "اقرأوا على موتاكم ﴿يس﴾"³⁴⁷.

يذكر أن الحديث الذي أرشد إلى قراءة يس على الموتى ضعيف لأجل أبي عثمان وأبيه ليسا بمشهورين. قال ابن حجر: "أعله (هذا الحديث) ابن القطان بالاضطراب وبالوقف وبجهالة"³⁴⁸ حال أبي عثمان وأبيه. إلا أن أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد قال: إن هذا الحديث حسن؛ لأن أبا عثمان هذا هو الذي يقول عنه التيمي، مقبول³⁴⁹ حديثه في السنن، ولم يجرحه أحد. ثم الرواية التي تكون فيها راويان مجهولان هي رواية عازم عن معمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "البقرة أسلم القرآن وذروته . . . ويس قلب القرآن . . . واقرأها على موتاكم"³⁵⁰. وذكره ابن حبان في الثقات³⁵¹.

³⁴⁵ أحمد. 1995 م. المسند. ج. 13. 172. رقم الحديث 20178. أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الجنائز. باب القراءة عند الميت. ج. 3. ص. 191. رقم الحديث 3121. ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب الجنائز. باب فيما يقال عند المريض إذا حضر. ج. 1. ص. 466. رقم الحديث 1448. درجة الحديث: إسناده ضعيف لأجل أبي عثمان وأبيه ليسا مشهورين. قال أحمد شاكر في تعليقه عن هذا الحديث في مسند الإمام أحمد (ج. 15. ص. 177. رقم الحديث 20192. ج. 3. ص. 172. رقم الحديث 20179) أبو عثمان هذا الذي يقول عنه التيمي: ليس بالتهدي، مقبول حديثه في السنن ولم يجرحه أحد.

³⁴⁶ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. 2001 م. مسند الإمام أحمد. ج. 33. ص. 417. رقم الحديث 20300. درجة الحديث: إسناده ضعيف لجهالة الرجل وأبيه.

³⁴⁷ ابن حبان. صحيح ابن حبان. كتاب الجنائز باب في المختصر. ج. 7. ص. 269. رقم الحديث 3002. درجة الحديث: إسناده ضعيف لجهالة أبي عثمان، وليس هو بالتهدي، ولاضطرابه.

³⁴⁸ ابن حجر. د. ت. تهذيب التهذيب. ج. 4. ص. 554؛ المزي، جمال الدين أبي الحجاج. 1983 م. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. 34. ص. 75.

³⁴⁹ ابن حجر. تقريب التهذيب. ص. 664.

³⁵⁰ الإمام أحمد. 1995 م. المسند. ج. 13. ص. 172. رقم الحديث 20178.

³⁵¹ ابن حبان. د. ت. الثقات. ج. 7. ص. 664.

أما رواية عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن أبيه عن معقل بن يسار قال:

"قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اقرأوها على موتاكم"، يعني يس، فإسناده حسن ولم يكن في

روايته جهالة³⁵².

واعترض بأن المقصود من هذه القراءة هو عندما حضرته الوفاة لا أن الميت يقرأ عليه، هذا ما ظهر من

عنوان ابن حبان³⁵³ وابن ماجه³⁵⁴ وهو قول الحنفية وبعض المالكية والشافعية والحنابلة³⁵⁵. وقواه ما ذكره

أحمد في المسند أن صفوان حدثه المشيخة وجماعة حضروا غضيف بن الحارث الثمالي حين اشتد سوقه،

فقال: "هل منكم أحد يقرأ يس؟"، قال: "فقرأها صالح بن شريح السكوني، فلما بلغ أربعين منها قبض".

قال: "فكان المشيخة يقولون: إذا قرئت عند الميت خفف عنه بها". قال صفوان: "وقراها عيسى بن

المعتمر عند ابن معبد³⁵⁶. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما

من ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هون الله عليه"³⁵⁷. قال آهادي: "معنى "على موتاكم" أي من حضرهم

الموت"³⁵⁸.

³⁵² تعليق أحمد شاكر على المسند ج. 13، ص. 172.

³⁵³ ابن حبان. 1408 هـ. صحيح ابن حبان. كتاب الجنائز باب في المختصر. ج. 7، ص. 269.

³⁵⁴ ابن ماجه. د. ت. سنن ابن ماجه. كتاب الجنائز. باب فيما يقال عند المريفق إذا حضر. ج. 1، ص. 466.

³⁵⁵ ابن عابدين، محمد أمين. 2003 م. رد المختار على در المختار شرح تنوير الأبصار. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 3، ص. 80؛

النفرأوي، أحمد بن غنيم. 2005 م. الأمير، محمد بن محمد. 2011 م. الإكمال شرح مختصر خليل. القاهرة: دار الفضيحة. ج. 1، ص.

191؛ النووي، يحيى بن شرف. د. ت. المجموع شرح المذهب. ج. 5، ص. 105؛ الهوت، منصور بن يونس. 2000 م. شرح منتهى

الإرادات دقائق أولى النهى لشرح المنتهى. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. 2، ص. 73.

³⁵⁶ أحمد. 1995 م. المسند. ج. 13، ص. 216. رقم الحديث 16906. درجة الحديث: إسناده صحيح. قال أحمد شاكر: "صفوان

هو ابن عمرو السكسكي وثقه العجلي وأحمد والنسائي. وهو هنا يروي عن مجموعة من شيوخه، فليسوا بمجاهيل وإنما هو يقوي كلامه. وهذا

السند تقوية لما ورد في الحديث "اقرأوا يس على موتاكم". فهذا الإسناد يمسك بعضه ذلك، فيتقويان فلا يكون ذلك إلا من قبل السنة.

(تعليقه على هذا الحديث في مسند الإمام أحمد).

³⁵⁷ البوصيري، أحمد بن أبي بكر. 1999 م. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة. الرياض: دار الوطن للنشر. كتاب الجنائز. باب

قراءة سورة يس عند الميت. ج. 2، ص. 420. رقم الحديث 1837. درجة الحديث: ضعيف، لضعف مروان بن سالم الجزري.

³⁵⁸ آهادي. د. ت. عون المعبود. ج. 8، ص. 279.

هـ- وعن أم شريك قالت: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن نقرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب³⁶⁴. في إسناده ضعف³⁶⁵.

واعترض: أن المقصود من القراءة على الجنازة إنما يكون في صلاة الجنازة لا عليها.

وجه دلالة الحديث: هذا يحتمل أن تكون القراءة عند الميت في حال موته، ويحتمل أن تكون عند قبره³⁶⁶.

وفي المسألة أحاديث أخرى لكنها واهية الأسانيد:

1- عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾³⁶⁷، ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ إِلَهًُا وَاحِدٌ﴾³⁶⁸، ثم قال: "اللهم إني قد جعلت ثواب ما قرأت من

كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات، كانوا شفعاء له إلى الله"³⁶⁹.

³⁶⁴ ابن ماجه. 1430 هـ. سنن ابن ماجه. شعيب الأرنؤوط وآخرون أبواب الجنائز. باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة. ج. 2. ص. 466. رقم الحديث 1496. درجه الحديث: إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وكذا الراوي عنه حماد بن جعفر. أبو عاصم: هو الضحاك بن مخلد النبيل. وأخرجه ابن الجوزي، جمال الدين أبو العجاج عبد الرحمن بن علي. 1415 هـ. التحقيق في أحاديث الخلاف. مسعد عبد الحميد محمد السعدني. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 2. ص. 115. رقم الحديث 893. درجه الحديث: فيه شهر وقد ضعفوه.

³⁶⁵ ابن حجر. د. ت. تلخيص الحبير. بيروت: دار المعرفة. ج. 2. ص. 119. رقم الحديث 765؛ الشوكاني. 2005 م. نيل الأوطار. ج. 4. ص. 66؛ الصنعاني، محمد بن إسماعيل. د. ت. سبل السلام شرح بلوغ المرام. بيروت: دار المعرفة. ج. 2. ص. 166. ³⁶⁶ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. 1425 هـ. التلذذ بأحوال الموتى وأمور الآخرة. الصادق بن محمد بن إبراهيم. الرياض: مكتبة دار المنهاج. باب ما جاء في تلاوة القرآن عند القبر حالة الدفن وبعده وأنه يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويدعى ويستغفر له ويتصدق عليه. ص. 286-287.

³⁶⁷ القرآن الكريم. سورة الإخلاص 112: 1.

³⁶⁸ القرآن الكريم. سورة التكاثر 102: 1.

³⁶⁹ أخرجه أبو القاسم الرغباني في فوائده. درجه الحديث: ضعيف.

2- عن أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من دخل المقابر فقرأ سورة يس، خفف الله عنهم، وكان له بعدد من فيها حسنات"³⁷⁰.

قال السيوطي: "وهي -أي هذه الأحاديث- وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلاً، وأن المسلمين ما زالوا في كل مصر وعصر يجتمعون ويقرؤون لموتاهم من غير نكير، فكان إجماعاً"³⁷¹.
ومن الآثار في ذلك عن السلف الصالح:

3- ما أخرجه ابن أبي شيبة عن الإمام الشعبي قال: "كانت الأنصار يقرؤون عند الميت بسورة البقرة"³⁷²، فالعلماء يرون بأن هذا الأثر ليس في القراءة عند القبر بل عند الاحتضار، ولذا قال ابن أبي شيبة: "ما يقال عند المريض إذا حضر"، ثم جاء بهذا الأثر تحت هذا الباب. والعلماء الآخرون يرون بأن هذا الأثر يصلح عند الاحتضار وعند الميت لإطلاق لفظ الميت وقوي هذا الإطلاق بما أخرجه الخلال بلفظ: "كانت الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون عنده القرآن"³⁷³. أخبرني الحسين بن الهيثم، قال: "كان خطاب يجيئني ويده معقودة فيقول: إذا وردت المقابر فاقرأ قل هو الله أحد، وجعل ثمناً لأهل المقابر"³⁷⁴.

³⁷⁰ الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد. 1422 هـ. تفسير الثعلبي. أبو محمد بن الحسن ونظير الساعدي. ج. 8. ص. 119؛ المباركفوري. 1419 هـ. تحفة الأحوذى. علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود. كتاب الزكاة. باب ما جاء في الصدقة عن الميت. ج. 3. ص. 275. حكم الحديث ضعيف.
³⁷¹ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. 1996 م. شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور. بيروت: دار المعرفة. ص. 311.
³⁷² ابن أبي شيبة، أبو بكر. 1409 هـ. مصنف ابن أبي شيبة. كمال يوسف الخوت. الرياض: مكتبة الرشد. كتاب الجنائز. باب ما يقال عند الميت إذا حضر. ج. 2. ص. 445. رقم الحديث 10848. فيه مجالد بن سعيد ضعفه ابن معين.
³⁷³ الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد. 1424 هـ. القراءة عند القبور. يحيى مراد. بيروت: دار الكتب العلمية. ص. 89.
³⁷⁴ المصدر السابق. ص. 90. وجعل الخلال باباً خاصاً في كتابه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت عنوان "القراءة عند القبور" حيث ذكر فيه بضعة أحاديث تدل على عنوان الباب. ص. 90-87. فمن أحب أن يعرفه فليراجع إلى الكتاب المذكور.

- 4- وبوّب البخاري في صحيحه، باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة³⁷⁵. ففيه دلالة على أنه تقرأ قبل الدفن وبعده. لأن الأمر مطلق فيصح أن يكون في الصلاة وقبل الدفن وعنده وبعده³⁷⁶.
- 5- عن الحسن بن الصباح الزعفراني قال: "سألت الشافعي عن القراءة عند القبور، فقال: "لا بأس بها"³⁷⁷.
- 6- وحكى الذهبي في ترمذ أبي جعفر الهاشمي، الإمام والشيخ الحنبلي، أنه لما توفي دفن إلى جانب قبر الإمام أحمد، ولزم الناس قبره وختم على قبره عشرة آلاف ختمة³⁷⁸.
- وجه دلالة الحديث: تدل هذه الروايات على أن ما عليه السلف والخلف هي تلاوة القرآن الكريم على القبر، حتى إن أهل السير ذكروا أن الناس قد اجتمعوا لختم القرآن الكريم على قبر ابن تيمية بعد دفنه وكذلك في بيوتهم³⁷⁹.
- 7- حكى جماعة من الأئمة على إجماع المسلمين على جواز تلاوة القرآن الكريم على القبر، ومن حكى ذلك الإجماع الشيخ العثماني فقال: "وأجمعوا على أن الاستغفار والدعاء والصدقة والحج والعتق تنفع الميت ويصل إليه ثوابه، وتلاوة القرآن عند القبر مستحبة، وكرهها أبو حنيفة"³⁸⁰.
-
- ³⁷⁵ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب الجنازات. باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة. ج. 2: 89.
- ³⁷⁶ دار الافتاء المصرية. 2013 م. حكم تلاوة القرآن على الميت". <http://www.dar-alifta.org> / 21 مايو.
- ³⁷⁷ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. 1986 م. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة. بيروت: دار الكتب العلمية. ص. 11؛ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. 1428 هـ. رياض الصالحين. ماهر ياسين الفحل. بيروت: دار ابن كثير. كتاب عيادة المريض وتشيع الميت والصلاة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه. باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة. ج. 1. ص. 284. رقم الحديث 947. (الكلام ليس للشافعي، بل لأصحابه).
- ³⁷⁸ الذهبي. 2003 م. سير أعلام النبلاء. ج. 11. ص. 282-283.
- ³⁷⁹ دار الافتاء المصرية. 2013 م. "تلقي الميت". <http://www.dar-alifta.org> / وعزت القصة إلى كتاب محنة المذاهب.
- ³⁸⁰ العثماني، محمد بن عبد الرحمن. د. ت. رحمة الأمة في اختلاف الأئمة. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ص. 72.

وأيضاً عن ابن قدامة أنه قال: "ولنا ما ذكرناه وأنه إجماع المسلمين، فإنهم في كل عصر ومصر يجتمعون ويقرؤون القرآن ويهدون ثوابه إلى موتاهم من غير تكبير³⁸¹.

الترجيح: ترى الباحثة أن تلاوة القرآن الكريم على القبر جائزة بشرط أن يكون المكان نظيفاً من النجاسة³⁸²، وإنما قالت به؛ لأن بعض الصحابة أوصوا بذلك، وقد حكى أن السلف استحبوا ذلك وأصحاب المذاهب قد قالوا به، فدل بمجموعها على الجواز. إلا أن استخدام لفظ "مشروعية" في نظر الباحثة غير لائق به، حيث إن الكلمة توحي بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- تحرى المقبرة لتلاوة القرآن الكريم أو ورد الحديث الذي أمر بذلك، ولم يكن كذلك. وإذا اعتقد أن التلاوة عند القبر أفضل لذاته أو اتخاذه عادة في وقت معلوم فهو بدعة، إذ أن تخصيص المكان والزمان المعين بلا دليل يدل عليه، فهو باطل.

الفرع الثاني: انتفاع أهل القبر بتلاوة القرآن الكريم.

بعد أن عرضت الباحثة آراء العلماء في تلاوة القرآن الكريم على القبر مطلقاً، ستذكر في هذا الفرع متى قصد الشخص قبراً لتلاوة القرآن الكريم عليها، معتقداً أن ذلك ينفع الميت. ولقد ذهب العلماء في هذه المسألة إلى قولين؛ أولاً أن التلاوة تنفعه، وأصحاب هذا القول ينقسم إلى فرقتين، الأولى ترى أن ثواب التلاوة يصل إلى الميت، وترى الثانية أن الميت ينتفع بمجاورة تالي القرآن وسماعه، وثانياً أن التلاوة لا تنفعه مطلقاً.

³⁸¹ ابن قدامة. 2004 م. المغني. ج. 3. ص. 327.

³⁸² النووي، يحيى بن شرف. 1414 هـ. التبيان في آداب حملة القرآن. محمد الحجار. الطبعة الثالثة. بيروت: دار ابن حزم. ص. 77.

الرأي الأول: لقد ذهب فريق من العلماء إلى أن الميت ينتفع بتلاوة القرآن الكريم عنده، ويصل ثواب

القراءة إليه، وأن هذا هو مذهب الجمهور³⁸³، وهم مختلفون في جهة هذا الانتفاع:

أ- فمنهم من يذهبون إلى أن الميت ينتفع بمجاورة تالي القرآن وسماعه إياه³⁸⁴. ثم إن القراءة كانت على وجه التبرك ليحصل الميت بركة القرآن بحكم المجاورة، كحصول البركة بمجاورة الرجل الصالح، ومصاحبة العلماء والفقهاء³⁸⁵.

فإن القرآن الكريم إذا تلى وبخاصة إذا كان في اجتماع، حفت القارئ الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم الملائكة، كما بين ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديثه الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يقرؤون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم الملائكة"³⁸⁶. وروى الإمام مسلم -رحمه الله- حديث أسيد بن حضير الذي كان يقرأ القرآن في مربذه ونحوه ولده وفوضه، وجاء فيه: فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "تلك الملائكة تستمع

³⁸³ ابن قيم. 1986 م. الروح. ص. 442.

³⁸⁴ ابن عابدين. 2003 م. رد المختار. ج. 3. ص. 152؛ الأمير، محمد بن محمد. 2011 م. الإكليل شرح مختصر خليل. القاهرة: دار الفضيلة. ج. 1. ص. 192. ابن قدامة. 2004 م. الشرح الكبير. ج. 3. ص. 326؛ خطاب. 1974 م. الفهل العلي المورود. ج. 9. ص. 109؛ عطية صقر. 1997 م. صلة الأحياء بالأموال. www.Islamport.com 12 يناير 2016.

³⁸⁵ النفراوي، أحمد بن غنيم. 2005 م. الفوائد الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني. بيروت: المكتبة العصرية. ج. 1. ص. 416.

³⁸⁶ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. ج. 4: 2074. #2699 و#2700. وأخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث. د. ت. سنن أبي داود. محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية. باب تفرغ أبواب الوتر. باب في ثواب تلاوة القرآن. ج. 2. ص. 71. رقم الحديث 1455. درجة الحديث: صحيح. وأخرجه الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن. د. ت. سنن الدارمي. حسين سليم أسد الداراني. المملكة السعودية العربية: دار المغني. باب في فضل العلم والعلم. ج. 1. ص. 369. رقم الحديث 368. درجة الحديث: إسناده صحيح بلفظ: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتذكرون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا أظلتهم الملائكة بأجنتها حتى يخوضوا في حديث غيره. ومن سلك طريقاً يلقي به العلم سهل الله طريقه إلى الجنة، ومن أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه". درجة الحديث: إسناده صحيح.

لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم"³⁸⁷. فيرجو أن يصيب شيء منها للميت. ولقد

قال الله -تعالى-: ﴿الَّذِينَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ٣﴾³⁸⁸.

قال القرافي المالكي: "الموتى انقطع عنهم الأوامر والنواهي، وإذا لم يكونوا مأمورين، لا يكون لهم ثواب، وإن كانوا مستمعين، ألا ترى أن البهائم تسمع أصواتنا بالقراءة ولا ثواب لها؛ لعدم الأمر لها بالاستماع؛ فكذا الموتى، والذي يتجه أن يقال ولا يقع فيه خلاف أنه يحصل لهم بركة القراءة لا ثوابها، كما تحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده، فإن البركة لا تتوقف على الأمر، والبهيمة يحصل لها بركة راعيها ومجاريها وأمر البركات لا ينكر، فقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تحصل بركته للبهائم من الخيل والحمير وغيرهما، فالذي يتجه أن يحصل للموتى هو بركة القراءة"³⁸⁹.

ب- ومنهم من يذهب إلى أن ثواب التلاوة يصل إليهم، والقائلون بهذا القول يختلفون هل هذا الإيصال يحتاج إلى نية أو لا³⁹⁰.

ج- ومنهم من يذهب إلى أن الميت لا ينتفع بهذه التلاوة، ولكن ينتفع بالدعاء عقبها³⁹¹.

³⁸⁷ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي، منتخب صلاة المسافرين وقصرها. باب قول السكينة لتلاوة القرآن. ج. 1: 548. #796. وأخرجه أحمد بن محمد بن حنبل. 1421 هـ. وصححه الإمام أحمد بن حنبل. شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج. 18. ص. 289. رقم الحديث 11766. درجة الحديث: إسناده صحيح على شرط الشيخين. يعقوب هو ابن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري، وي زيد ابن الهاد هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي، وعبد الله بن خليل هو الأنصاري المدني. وأخرجه الصائغ. 1421 هـ. السنن الكبرى. حسن عبد المنعم شلي. كتاب المناقب. ج. 7. ص. 346. رقم الحديث 8187.

³⁸⁸ القرآن الكريم. سورة لقمان 31: 3-1.

³⁸⁹ القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس. د. ت. أنوار البروق في أنواء الفروق. د. م: عالم الكتب. ج. 3. ص. 193؛ الخرشي، محمد بن عبد الله. د. ت. شرح مختصر خليل. بيروت: دار الفكر. ج. 2. ص. 137؛ الخطاب الرعيبي المالكي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد. 1412 هـ. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل. الطبعة الثالثة. د. م: دار الفكر. ج. 2. ص. 238؛ أبو عبد الله المالكي، محمد بن أحمد. 1409 هـ. منح الجليل شرح مختصر خليل. بيروت: دار الفكر. ج. 1. ص. 510.

³⁹⁰ ابن عابدين. 2003 م. رد المختار. ج. 3. ص. 151. الخرشي، محمد بن عبد الله. 1997 م. حاشية الخرشي على مختصر سيدي خليل. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 2. ص. 326.

³⁹¹ الرملي، أحمد بن حمزة. 2012 م. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ج. 3. ص. 57؛ ابن عابدين. 2003 م. رد المختار. ج. 3. ص. 151.

وَمُسَائِلَةُ الْبَاحِثَةِ لَزَوَارِ قَبْرِ الْحَبِيبِ نُوحٍ، تَجِدُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْمَيِّتَ يَنْتَفِعُ بِوُصُولِ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ إِلَيْهِمْ، سَتُورِدُ الْبَاحِثَةُ بِإِيرَادِ حُجَّةِ هَذَا الْفَرِيقِ وَمُنَاقَشَتِهَا كَمَا يَلِي:

1- قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اقْرَؤُوا يَسْ عَلَى مَوْتَاكُمْ"³⁹². وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ ذَكَرْتُ الْبَاحِثَةَ الْمُنَاقَشَةَ عَلَى سَنَدِ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الْفَرْعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْمَطْلَبِ.

يَعْتَرِضُ: بِمَا قَالَ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ مَعْلُقًا عَلَى حَدِيثِ "اقْرَؤُوا عَلَى مَوْتَاكُمْ" يَسْ، أَرَادَ بِهِ مِنْ حَضْرَتِهِ الْمَنِيَّةِ، لَا أَنَّ الْمَيِّتَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ.

وَيَجَابُ: أَنَّ الْمُحِبَّ الطَّبْرِيَّ قَالَ: لَا يَسْلَمُ ذَلِكَ وَإِنْ سَلِمَ أَنَّ يَكُونُ التَّلْقِينَ حَالِ الْإِحْتِضَارِ، قَالَ الشُّوْكَانِيُّ: "وَاللَّفْظُ نَصٌّ فِي الْأُمُورِ وَتَنَاوُلُهُ لِلْحَيِّ الْمُحْتَضِرِ مَجَازٌ، فَلَا يَصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا لِقَرِينَةٍ"³⁹³. وَذَكَرَ عَدَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْأَمْرَ بِقِرَاءَةِ يَسْ يَحْتَمِلُ أَنَّ يَكُونُ فِيمَنْ حَضْرَتِهِ الْوَفَاةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ يَكُونُ عِنْدَ قَبْرِهِ، فَلَا مَانِعَ أَنْ يَسْتَخْدَمَ اللَّفْظَ فِي حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ، فَالْمَيِّتُ حَقِيقَةً فِيمَنْ قَدْ مَاتَ، وَمَجَازٌ فِيمَنْ حَضْرَتِهِ الْمَوْتُ وَغَيْرَ ذَلِكَ³⁹⁴. وَاللُّغَةُ تَقْتَضِي ذَلِكَ، وَلَمْ يُخَصِّصْهُ الشَّارِعُ، فَيَقْبَلُ عَلَى مَا انْتِزَاهُ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةُ³⁹⁵. وَقَدْ ذَهَبَ

³⁹² الإمام أحمد. 1995 م. المسند. ج. 13. ص. 172. رقم الحديث 20178؛ أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الجنائز. باب القراءة عند الميت. ج. 3. ص. 191. رقم الحديث 3121؛ ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب الجنائز. باب فيما يقال عند المريض إذا احتضر. ج. 1. ص. 466. رقم الحديث 1448. درجة الحديث: إسناده ضعيف لأجل أبي عثمان وأبيه ليسا بمشهورين. قال أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث في مسند الإمام أحمد (ج. 15. ص. 177. رقم الحديث 20192 و ص. 172. رقم الحديث 20179) أبو عثمان هذا الذي يقول عنه التيمي: ليس بالنهدي، مقبول حديثه في السنن ولم يخرجه أحد.

³⁹³ الشُّوْكَانِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ. 1413 هـ. نيل الأوطار. عصام الدين الصباطي. مصر: دار الحديث. كتاب الجنائز. باب من كان آخر قوله لا إله إلا الله وتلقين المحتضر وتوجيهه وتغميض الميت. ج. 4. ص. 29. رقم الحديث 1369.

³⁹⁴ الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد. 1994 م. تاج العروس. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 5. ص. 56. مادة: م-و-ت.

³⁹⁵ لجنة من أساتذة قسم الفقه بكلية الشريعة، جامعة الأزهر. 2007 م. قواعد الفقه الإسلامي بين النظرية والتطبيق. القاهرة: مطبعة كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر. ص. 56.

إلى ذلك القرطبي³⁹⁶ وابن رفة والزركشي والطبري³⁹⁷. قال ابن حجر: "أنه يندب قراءتها في الموضوعين"³⁹⁸.

2- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا رسول الله، إن العاص بن وائل كان يأمُر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة؟ وإن هشام بن العاص نحر حصته من ذلك خمسين بدنة، أفأنحر عنه؟ فقال: "إن أباك لو كان أقر بالتوحيد فصمت عنه أو تصدقت عنه أو عتقت عنه بلغه ذلك"³⁹⁹.

في سننه الحجاج بن أرطاة وهو مدلس⁴⁰⁰ إلا أن أحمد شاكِر في تعليقه على مسند الإمام أحمد صحح هذا الإسناد⁴⁰¹، وأخرج هذا الحديث الألباني في السلسلة الصحيحة وقال فيه: هذا إسناد صحيح ورجاله كلهم ثقات على الخلاف المعروف في عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وهشيم والحجاج كلاهما مدلس، ولكنهما قد صرح بالتحديث، فوالله شبهة تدليسهما. ومن هنا تعلم أن ما قاله الهيثمي غير دقيق.

والحديث واضح في أن الصدقة والصوم والحج والصلاة وقراءة الولد يصل لوالده وكذلك والدته لأنه من سعيهما⁴⁰². وإن كان الولد يتيما وكان هو من سعى شيخه ومربيه وأصحابه فهل ذلك يصل إليه

³⁹⁶ القرطبي. 2000 م. التذكرة. ج. 1. ص. 286-287.

³⁹⁷ السيوطي. 1996 م. شرح الصمد. ص. 312؛ الهيثمي، ابن حجر. د. ت. الفتاوى الفقهية الكبرى. القاهرة: المكتبة الإسلامية. ج. 2. ص. 27.

³⁹⁸ الهيثمي. د. ت. الفتاوى الفقهية الكبرى. ج. 2. ص. 27.

³⁹⁹ أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد. 1409 هـ. مصنف ابن أبي شيبة. كمال يوسف الخوت. كتاب الجنائز. باب ما يتبع الميت بعد موته. ج. 3. ص. 58. رقم الحديث 12078.

⁴⁰⁰ الهيثمي. 1994 م. مجمع الزوائد. ج. 4. ص. 344. رقم الحديث 6982.

⁴⁰¹ أحمد شاكِر. 1995 م. المسند (تعليقه). ج. 6. ص. 253. رقم الحديث 6704.

⁴⁰² ابن تيمية. 1422 هـ. جامع المسائل. محمد عزيز شمس وبكر بن عبد الله أبو زيد. د. م: دار عالم الفوائد. ج. 5. ص. 203 و204.

لأنهم هم السبب في صلاحية الولد؟ هذه حكمة من قوله -صلى الله عليه وسلم-: "وولد صالح" ولم يقل "وابن صالح" فكل ابن ولد، وليس كل ولد ابن⁴⁰³.

وجه الدلالة: جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- العلة في عدم وصول ذلك إليه عدم التوحيد، بمعنى لو كان مؤمنا لوصل إليه ثواب الأعمال البدنية متمثلا في قوله "فصمت" والأعمال المالية متمثلة في قوله "تصدق" و"أعتقت".

وقال ابن تيمية، بأن قراءة الأحياء تصل ثوابها للأموات سواء كانت بعيدة أو قريبة، قياسا على ما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه"⁴⁰⁴، فجعل الصيام يقبل النيابة، فيقاس على ذلك جميع العبادات البدنية، وكذلك أنه ينتفع بالدعاء له والاستغفار والصدقة والعق بالإجماع، فالقول في مواقع التواع كالقول في موارد الإجماع⁴⁰⁵.

الاعتراض: أن هذا مبني على القياس في العبادة، والأصلح أن لم يكونوا مجمعين على جواز القياس في العبادة، فمنهم من أخذ به، ومنهم من لم يجر ذلك.

⁴⁰³ حسبي، محمد. 2003 م. "الولد صالح". المحاضرة.

⁴⁰⁴ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب الصوم. باب من مات وعليه الصوم. ج. 3: 3.

35. #1952. الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الصيام. باب قضاء الصيام عن الميت. ج. 2: 2.

803. #1147.

⁴⁰⁵ ابن عبد الهادي، محمد. 2004 م. اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية. القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. ص. 91.

3- أن رجلا سأل النبي - صلى الله عليه وسلم -: "يا رسول الله كان لي أبوان، وكنت أبرهما أيام حياتهما، فكيف بالبر بعد موتهما؟" فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن من البر بعد الموت أن تصلي لهما مع صلاتك، وأن تصوم لهما مع صيامك، وأن تتصدق لهما مع صدقتك"⁴⁰⁶.

الاعتراض: في سند هذا الحديث انقطاع. أورده الإمام مسلم في مقدمته في بيان أن الإسناد من الدين. فقال: سأل أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى عبد الله المبارك عن حكم هذا الحديث، فسأله عبد الله عمن روي هذا الحديث، فقال شهاب بن خراش، فقال عبد الله هو ثقة، ثم سأل عمن أخذ هذا الحديث يعني شهاب، قال أبو إسحاق: عن الحجاج بن دينار، فقال: عبد الله ثقة، فسأله الثاني فأجاب أبو إسحاق عن رسول الله، فقال عبد الله إن بين الحجاج والنبي مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي؛ لأن الحجاج هذا تابع التابعين، فأقل أن يكون ما بينه والنبي، التابعين والصحابة⁴⁰⁷.

8- بالقياس على الحج، فكما أنه يصح الحج للميت ويتضمن فيه الأعمال البدنية كالصلاة والطواف والقراءة والأعمال المالية كنفقة الحج ومؤونته، وكذلك القراءة لها. وأيضاً قاسوا ذلك على الدعاء والاستغفار بجامع أن كلا منها عبادة بدنية⁴⁰⁸. فبأنه روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً يقول: "لبيك عن شبرمة"، فقال: "من شبرمة؟" فذكر أخاه أو قربة قال: "أحججت قط؟" قال: لا، قال: فاجعل هذه عنك ثم حج عن شبرمة⁴⁰⁹.

⁴⁰⁶ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. (مقدمة) ج. 1: 16. قال: "ليس في الصدقة اختلاف معناه أن هذا الحديث لا يحتاج به ولكن من أراد بر والديه فليصدق عنهما فإن الصدقة تصل إلى الميت وينتفع بها بلا خلاف بين المسلمين". وأخرجه ابن أبي شيبة. مصنف ابن أبي شيبة. 1409 هـ. كمال يوسف الخوت. ج. 3. ص. 59. رقم الحديث 12084.

⁴⁰⁷ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم (المقدمة). ج. 1: 89؛ النووي. د. ت. شرح صحيح مسلم. ج. 1. ص. 89.

⁴⁰⁸ ابن عابدين. 2003 م. رد المختار. ج. 3. ص. 152؛ ابن قدامة. 2004 م. الشرح الكبير. ج. 3. ص. 326.

⁴⁰⁹ الإمام البيهقي. 1424 هـ. السنن الكبرى. محمد عبد القادر عطا. الطبعة الثالثة. كتاب الحج. باب من ليس له أن ينج عن غيره. ج. 4. ص. 549. رقم الحديث 8675 و8676 وفي ص. 550. رقم الحديث 8678-8680. وفي ص. 551. رقم الحديث 8681 و8682. وفي ص. 552. رقم الحديث 8685. وفي جماع أبواب دخول مكة. باب النيابة في الحج عن المعصوب والميت. ج. 5. ص.

فكذلك بالقياس الأولى على المعصية، فكما أن الله -تعالى- يعذب الميت بمعصية أهله كقوله -

صلى الله عليه وسلم-: "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه"⁴¹⁰، فكذلك يثيبه على طاعتهم. فאלله -

تعالى- أكرم من أن يوصل عقوبة المعصية إليه، ويحجب عنه المثوبة، ولأن موصل الثواب ما سلموه قادر

على إيصال ثواب ما منعه⁴¹¹.

5- إذا كان عمل الميت الذي عمل به حال حياته سينفع الحي من أولاده، فكذلك عمل الحي سينتفع

به الميت قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ

أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾⁴¹²، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "حفظا بصلاح أبيهما"⁴¹³، وقيل بينهما

وبين الأب الصالح سمعة آباء⁴¹⁴. فلقه حفظ الله الأبناء ببركة ما قام به الآباء من الصالحات، فضلا من

الله -تعالى-، فكذلك الأعمال التي قام بها الأبناء سينفع الآباء الميتين.

الرأي الثاني: إن الثواب الذي أهله الأحياء لمواتهم لا يصل إليهم:

1- ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾⁴¹⁵ فقد أخبر الله -تعالى- أنه لا ينفع الشخص إلا ما قام

به هو بنفسه من الأعمال الصالحة، فكما لا يحمل ثم غيره، فكذلك لا ينتفع بما قام به غيره من الصالحات.

293. رقم الحديث 9854. أبو داود. د. ت. سنن أبي داود. كتاب الحج. باب كيف التلبية. ج. 2. ص. 186. رقم الحديث

1811. درجة الحديث: إسناده حسن.

410 الإمام البخاري. د. ت. صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب البكاء عند المريض. ج. 2: 84. #1304.

411 ابن قدامة. 2004 م. الشرح الكبير. ج. 3. ص. 327.

412 القرآن الكريم. سورة الكهف: 82.

413 البغوي. 2002 م. تفسير البغوي. ص. 789.

414 المصدر السابق.

415 القرآن الكريم. سورة النجم: 53: 39.

وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء. وقد استثني منها الصدقة والدعاء، فذاك منصوص عليها من الشارع⁴¹⁶.

الاعتراض الأول: بأنه روي عن ابن عباس أنها منسوخة بقول الله - تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾⁴¹⁷. وقوله تعالى: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ

نَفْعًا﴾⁴¹⁸. فيحصل الولد يوم القيامة في ميزان أبيه، ويشفع الله - تعالى - الآباء في الأبناء⁴¹⁹.

ويجاب: بأن أكثر أهل التأويل يقول أنها محكمة فلا ينفع أحداً عمل أحد. وأيضاً أن الإجماع قائم على أنه لا يصلي أحد عن أحد، بل روي أن ادعاء النسخ لم يصح، حيث إن الآية إخبارية، وليس فيها نوع من التكليف⁴²⁰.

الاعتراض الثاني: يكدر هذا الإجماع بما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن سعد بن عبادة سأله:

"إن أُمِّي توفيت أفأتصدق عنها؟ قال: نعم. قال: فأبي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء"⁴²¹.

ويجاب أيضاً: أن الصدقة مما ورد النص بشرعية القيام بها نيابة عن غيره.

⁴¹⁶ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. 1420 هـ. تفسير ابن كثير. سنن ابن محمد سلامة. الطبعة الثانية. دار طيبة. ج. 7. ص. 465؛ سالم بن عبد الله. 2015 م. "مناقشة علمية هل وصل الثواب إلى الميت؟". محاضرة.

⁴¹⁷ القرآن الكريم. سورة الطور 52: 21.

⁴¹⁸ القرآن الكريم. سورة النساء 4: 11.

⁴¹⁹ القرطبي. د. ت. تفسير القرطبي. ج. 9. ص. 358؛ البغوي. 2002 م. تفسير البغوي. ص. 1249.

⁴²⁰ الرازي. 2001 م. التفسير الكبير. ج. 10. ص. 276؛ القرطبي. د. ت. تفسير القرطبي. ج. 9. ص. 358.

⁴²¹ ابن ماجه. 1430 هـ. سنن ابن ماجه. شعب الأرئوط وآخرون. أبواب الأدب. باب فضل صدقة الماء. ج. 2. ص. 1214. رقم

الحديث 3684. درجة الحديث: حسن رجاله ثقات وهو منقطع، سعيد بن المسيب لم يدرك سعد بن عبادة. وأخرجه النسائي. 1406

هـ. سنن النسائي. عبد الفتاح أبو غدة. كتاب الوصايا. ذكر الاختلاف على سفيان. ج. 6. ص. 254. رقم الحديث 3664 و3665.

درجة الحديث: حكم الألباني حسن. وأخرجه أبو داود. د. ت. سنن أبي داود. محمد محيي الدين عبد الحميد. كتاب الزكاة. باب في فضل

سقي الماء. ج. 2. ص. 130. رقم الحديث 1681. درجة الحديث: حكم الألباني أنه حسن.

ويعترض على هذا الجواب: أن هذا الجزء من طريق الإنجاب والعدل، وإذا تصدق عنه أحد فليس يجب له شيء إلا أن يتفضل الله - تعالى - عليه بما لا يجب له، أي من طريق الإكرام والتفضل⁴²². وسئل والي خراسان عبد الله بن طاهر الحسين عن هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾⁴²³، فأجابه: ليس له بالعدل إلا ما سعى، وله بالفضل ما شاء الله - تعالى -⁴²⁴. فالقرآن لم ينفع انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما أخبر أنه لا يملك إلا سعيه وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره وإن شاء يبقيه لنفسه وهو سبحانه وتعالى لم يقل إنه لا ينتفع إلا بما سعى⁴²⁵.

ونقل عن ابن عبد الهادي أن ابن تيمية رد احتجاج من قال بعدم وصول الثواب إلى الميت بأن حجتهم داحضة، وأن الآية ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾⁴²⁶، لم تنف انتفاع الإنسان بعمل غيره، وإنما نفت أن يستحق غير سعيه بقوله: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾⁴²⁷. وهذا حق لا يستحق إلا سعي نفسه لا سعي غيره، لكن لا يمنع ذلك أن الله - تعالى - يرحمه وينفعه بغير سعيه، كما يدخل أطفال المؤمنين الجنة بغير سعيهم⁴²⁸.

⁴²² أبو حيان، محمد بن يوسف. 1420 هـ. البحر المحيط. صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر. ج. 10. ص. 24؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. 1384 هـ. تفسير القرطبي. أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار الكتب المصرية. ج. 17. ص. 114.

⁴²³ القرآن الكريم. سورة البقرة: 261.

⁴²⁴ ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. 1422 هـ. تفسير ابن عطية. عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 5. ص. 206. وأخرجه أبو حيان، محمد بن يوسف. 1420 هـ. البحر المحيط. صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر. ج. 10. ص. 24.

⁴²⁵ ابن قيم. 1986 م. الروح. ص. 465؛ زين بن سميط. 2003 م. مسائل كثر حولها النقاش والجدال. ص. 31.

⁴²⁶ القرآن الكريم. سورة النجم: 53؛ 39.

⁴²⁷ القرآن الكريم. سورة النجم: 53؛ 39.

⁴²⁸ ابن عبد الهادي، محمد. 2004 م. اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية. ص. 91.

الاعتراض الثالث: يحتمل أن "السعي" المقصود في هذه الآية خاص في السيئة دون الحسنة أي لا يعاقب الشخص إلا بما سعى في الدنيا من السيئة، أما الحسنة فقد تنفعه إن قام بها أحد وتصدق عليه، وهذا ما يقتضيه سياق الآية، حيث قال الله -تعالى- قبل هذه الآية: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهُونَ﴾⁴²⁹. وقال تعالى بعده: ﴿وَأَنْ سَعَيْهِمْ سَوْفَ يَرَىٰ﴾⁴³⁰، فالחסنات تضاعف فيه أما السيئات فلا تجزى إلا مثلها. قال الأخفش: "أي وجزيته بالجزاء سواء"⁴³¹.

ويجاب: أن كلمة "سعى" عام فمدخل فيه الحسنات والسيئات. ويكون معنى أن لا تأثم آثمة إثم أخرى غيرها، ولا يجازي عامل إلا بعمله، خيراً كان أو شراً⁴³².

الاعتراض الرابع: عن عكرمة ورويع بن أنس أن المقصود من "الإنسان" خاصة بالمشركين والكافرين أي أن الله جزى حسناتهم في الدنيا حتى لا يبقى لهم شيء في الآخرة، أو أنها خاصة لقوم إبراهيم وموسى، أما المؤمن فينفعه عمله وعمل غيره إن تصدق عليه، ويدل على ذلك سياق الآية قبله ﴿أَمْ لَمْ يَبْنِ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ﴾³⁶ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ³³، وتدل على ذلك الأحاديث الكثيرة الواردة فيها منها: أن امرأة رفعت صبيها لها فقالت: "يا رسول الله أهداك حج؟". قال: "نعم ولك أجر"⁴³³. كما أن هذه الآية

⁴²⁹ القرآن الكريم. سورة النجم 53: 38.

⁴³⁰ القرآن الكريم. سورة النجم 53: 40-41.

⁴³¹ الطبري، محمد بن جرير. 1420 هـ. جامع البيان في تأويل القرآن. أحمد محمد شاكر. د. م: مؤسسة الرسالة. ج. 22. ص. 546.

وأخرجه القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد. 1418 هـ. محاسن التأويل. محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 9. ص. 81.

⁴³² الطبري، محمد بن جرير. 1422 هـ. تفسير الطبري. عبد الله بن عبد المحسن التركي. د. م: دار هجر. ج. 22. ص. 79.

⁴³³ القرآن الكريم. سورة النجم 53: 36-37.

⁴³⁴ أحمد بن محمد بن حنبل. 1421 هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج. 5. ص. 272. رقم الحديث

3195. درجة الحديث: صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم بن عتبة، فمن رجال مسلم. وأخرجه النسائي. 1406 هـ. سنن النسائي. عبد الفتاح أبو غدة. كتاب مناسك الحج. ج. 5. ص. 120. رقم الحديث 2645. درجة الحديث: صحيح.

نزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين، وكان قد اتبع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه، أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل ذلك⁴³⁵. وقيل إن في عهد إبراهيم كانوا يقتلون الرجل، ويأخذونه بذنب أبيه وابنه وأخيه وامرأته وأبيه، فنهاهم عن ذلك⁴³⁶.

الجواب: إن العبرة هو بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب. فتشمل هذه الآية المؤمن والكافر.

وفي حمل هذه الآية على ذلك نوع من التكلف الذي لا يحتاج إليه بعدما بان الحق⁴³⁷.

الاعتراض الخامس: إن الله -تعالى- يضاعف أجر المحسنين بعشر أمثالها ويزيد على ذلك، وهذه

الزيادة ليس من عمله، قال الله -تعالى-: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾⁴³⁸، وهذه الزيادة

ليس من عمله بل هي من فضل الله -تعالى-، فكذاك ينتفع الميت بفضل الله -تعالى- بما عمل به غيره⁴³⁹.

الجواب: إن الله -تعالى- لما وعد المحسنين بالأمثال والعشرة والزيادة، فإذا أتى الإنسان بحسنة

راجياً أن يؤتيه الله -تعالى- ما يفضل به، فقد جنى في الأمثال⁴⁴⁰.

⁴³⁵ الطبري. 1422 هـ. تفسير الطبري. عبد الله بن عبد المحسن التركي. ج. 22. ص. 541. وأخرجه البغوي. 1420 هـ. تفسير البغوي. عبد الرزاق المهدي. ج. 4. ص. 312. وأخرجه القيرواني الأندلسي القرطبي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش. 1429 هـ. الهداية إلى بلوغ النهاية. الشاهد البوشيخي وآخرون. د. م: مجموعة بحوث الكتاب والسنة بجامعة الشارقة. ج. 11. ص. 7167 و7168.

⁴³⁶ البغوي. 2002 م. تفسير البغوي. ص. 1249.

⁴³⁷ فخر الدين الرازي. 1420 هـ. التفسير الكبير. الطبعة الثالثة. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. 29. ص. 276.

⁴³⁸ القرآن الكريم. سورة الأنعام 6: 160.

⁴³⁹ القرطبي. د. ت. تفسير القرطبي. ج. 9. ص. 359.

⁴⁴⁰ فخر الدين الرازي. 1420 هـ. التفسير الكبير. الطبعة الثالثة. ج. 29. ص. 276.

الاعتراض السادس: إن القول بأن المسلم لا ينتفع بعمل غيره تمسك بظاهر الآية، والمخالف لا

يقول بذلك، بدلالة الحج والصدقة، فإنها تقع عنه وليس من سعيه⁴⁴¹.

الجواب: بأنه لا يستثنى من هذه الآية إلا ما نصه الشارع، وقد جاءت النصوص على أن الصدقة

والحج واقعان عن غيره، فيلزم الاختصار على ذلك⁴⁴².

ويعترض على هذا الجواب: بأنه يقاس على نفع الحج والصدقة للميت سائر القربات، بجامع أن

كلا منها عبادة بدنية ومالية. فهل القياس ليس من الأدلة المعتمدة في الشرع؟

2- قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية

أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"⁴⁴³.

وجه دلالة الحديث: فهذا الحديث يدل على أن صلاة الغير وصومه وقراءته لم تدخل تحت هذه

الثلاثة، فيجب ألا يحصل من غير هذه الجهات منها شيء؛ لأن استثناء الشرع لا يتناول شيئاً منها، وإلا

فلا فائدة في هذا الحصر، ولا يكون له معنى.

الاعتراض: أن لفظ الحديث يقتضي وصول الثواب إلى الميت من عمل الغير، حيث قال النبي -

صلى الله عليه وسلم-: "عمله" وليس "انقطع انتفاعه من عمل غيره" أو "انتفاعه"، فالمنقطع شيء والواصل

⁴⁴¹ ابن بري، إبراهيم بن مظفر. 2008 م. كتاب انتفاع الأموات بإهداء التلاوات والصدقات وسائر القربات. جاسم فهد. القاهرة: دار ابن حزم. ص. 77.

⁴⁴² فخر الدين الرازي. 1420 هـ. التفسير الكبير. الطبعة الثالثة. ج. 29. ص. 276؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. 1420 هـ. تفسير ابن كثير. سامي بن محمد سلامة. الطبعة الثانية. د. م: دار طيبة. ج. 7. ص. 465.

⁴⁴³ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الوصية. باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته. ج. 3: 1255. #1631. وأخرجه أحمد بن محمد بن حنبل. 1421 هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. شعيب الأرناؤوط وآخرون. ج. 14. ص. 438. رقم الحديث 8844. درجة الحديث: إسناده صحيح. وأخرجه الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي. 1404 هـ. مسند أبي يعلى. حسين سليم أسد. دمشق: دار المأمون للتراث. ج. 11. ص. 343. رقم الحديث 6457. درجة الحديث: إسناده صحيح.

إليه شيء آخر⁴⁴⁴. وهذا الحصر إنما يفيد أن بقايا أعماله تنقطع، وليس فيه ذكر أن عمل غيره لا يصل. ثم إنه يصح أن يضاف على هذا الاستثناء أدلة أخرى تثبت أن تكون زيادة على هذا الاستثناء، كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾⁴⁴⁵، فالآية الكريمة تحذر أن الأعمال السيئة تجزى بسيئة مثلها وهنا جاء بعد أداة الحصر أي الاستثناء، لكن لم يمنع من ذلك زيادة على هذا الاستثناء الواردة في هذه الآية إن وجد دليل آخر، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾⁴⁴⁶، وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾⁴⁴⁷. فينتج عن هذا أن السيئة إما أن تجزى مثلها أو تكفرها أو تبدلها حسنات، فكذلك الحديث إن وجد دليل آخر يدل على نفع الأموات، فيجب أن يزيد على هذا الاستثناء، وقد وجد ذلك⁴⁴⁸.

3- إن العبادة فيها نوع من التكليف والامتحان وجميع ذلك لا يقبل النيابة ولا البدل بما لم يضعه الشرع بدلا. كالمريض يحتاج إلى الدواء، فلو شرب غيره بدلا منه، فإنه سوف لا يؤثر في صحته شيئا⁴⁴⁹.

الاعتراض: إن هذا خلاف وضع الشرع، وذلك أن المصلي لا تزال إساءته في إطار العرف ومقتضى العقل إلا بتوبته من ذنبه، ولا يحو جهته إلا اعتذاره بنفسه، ثم إذا أراد أن يعتذر لم يجز إذا جعل اعتذاره عن جنایات غيره، كان اعتذاره قبيحا، وصار الجاني ضالما، ولم يقع موقع اعتذار المصلي.

⁴⁴⁴ ابن قيم. 1986 م. الروح. ص. 467.

⁴⁴⁵ القرآن الكريم. سورة غافر 40: 40.

⁴⁴⁶ القرآن الكريم. سورة النساء 4: 31.

⁴⁴⁷ القرآن الكريم. سورة الفرقان 25: 70.

⁴⁴⁸ الموصلي، إبراهيم بن ظفر. 2008 م. كتاب انتفاع الأموات بإهداء التلاوات والصدقات وسائر القربات. بيروت: دار ابن حزم. ص.

وكذلك لو كان ساخطا سخط فعل عبد من عبده لتأخر خدمته عن محلها ووقتها، فجاء بعض العبيد وبذل فعل تلك الخدمة التي امتنع من فعلها، لكان واقعا عنها⁴⁵⁰.

4- احتج المانعون من وصول الثواب من الأحياء للأموات، بالقاعدة أن الإيثار في العبادات مكروه وفي غيرها محمود، فكيف أجاز الشارع ما يكرهه؟⁴⁵¹، وأيضا إذا كان الإيثار بسبب الثواب مكروها، فكيف يجوز الإيثار بعين الثواب.

الاعتراض: أن الإيثار بالترب يدل على قلة الرغبة فيها، فلو كان الإيثار مسوغا فيها لأفضى إلى التقاعد والتكاسل. بخلاف إهداء ثوابها، فإن العامل يحرص عليها لأجل ثوابها، لينتفع به أخوه المسلم. ثم إن الله - تعالى - أمر عباده بالمنافسة في العبادة والمسارة في القرية، فإذا أثر بما ترك ما أمره الله - تعالى -، بخلاف ما إذا فعل ما أمر به من الطاعة والقرية، ثم أرسل ثوابه لأخيه المسلم فينبهما فرق⁴⁵².

5- إن نفع تلاوة القرآن لا يتعدى نفعه، فلا يتعدى ثوابه⁴⁵³.

الاعتراض: إن تعدي الثواب ليس بفعل متعدي النفع، ثم هو باطل بالصوم والدعاء والحج، وليس له أصل يعتبر به⁴⁵⁴.

⁴⁵⁰ الموصلي. 2008 م. كتاب انتفاع الأموات. ص. 85.

⁴⁵¹ عدد محاضر كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر. د. ت. القواعد الفقهية. ج. 2. ص. 40.

⁴⁵² الموصلي. 2008 م. كتاب انتفاع الأموات. ص. 85.

⁴⁵³ ابن قدامة. 2004 م. الشرح الكبير. ج. 3. ص. 326.

⁴⁵⁴ المرجع سابق.

6- إن القراءة ليس من سعي الميت، ولذلك جعل الله ثواب العمل لعامله، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا

فَلِنَفْسِهِ﴾⁴⁵⁵. فمن جعل شيئاً لغير العاملين، فقد خالف خبر الصادق⁴⁵⁶.

7- إن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يقوم بتلاوة القرآن لينتفع بها أموات المسلمين، مع قيام الدواعي لذلك وانتفاء الموانع، فدل على أنه غير مشروع. فقد توفيت بنات النبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته -صلى الله عليه وسلم- إلا فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- كما توفيت خديجة -رضي الله عنها-، وبعض أقاربه -صلى الله عليه وسلم- كحمزة وأصحابه الشهداء معه في الغزوات، ومع ذلك لم يرو ولم يرد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه أو أصحابه تلووا كتاب الله على قبور من سبقهم عند زيارتهم إياهم. وكان -صلى الله عليه وسلم- أشفق الناس عليهم وأرحمهم لهم، ولو كانت التلاوة مما تساعد أهل القبور لشرعه -صلى الله عليه وسلم- كما شرع النبي -صلى الله عليه وسلم- الزيارة والاستغفار للموتى والدعاء لهم.

الاعتراض: إن الترك لا يدل على حكم شرعي، فالترك وحده إن لم يصحبه النص فإن المتروك محظور، ولا يكون حجة في ذلك⁴⁵⁷ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد ترك شيئاً لأسباب متنوعة ومنها مخافة أن يفرض على أمته أو يشقهم في ذلك، كان تكون المشقة في القراءة على القبر للحر الشديد أو لغير ذلك، وإذا تطرق الاحتمال سقط الاستدلال، والترك لا يكون من أسلوب التحريم. بل قد ثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ترك الخطبة على المنبر وخطب على الجذع مع وجود الحاجة والمقتضى وانتفاء الموانع، فلم يفهم الصحابة من هذا الترك أن الخطابة على المنبر حرام، فقاموا بصنع المنبر له -صلى الله عليه وسلم-. إذاً فمطلق الترك من النبي -صلى الله عليه وسلم- أو الصحابة والتابعين لا يفيد التحريم

⁴⁵⁵ القرآن الكريم. سورة الجاثية 45: 15.

⁴⁵⁶ عبد السلام، عز الدين. د. ت. فتاوى العز بن عبد السلام. بيروت: دار المعرفة. ص. 95.

⁴⁵⁷ ابن حزم، علي بن أحمد. د. ت. المحلى. مصر: مطبعة النهضة. ج. 2. ص. 271؛ الغماري، عبد الله بن محمد. 2002 م. حسن التفهم والدرك لمسألة الترك. القاهرة: مكتبة القاهرة. ص. 10-11.

ولا الكراهة⁴⁵⁸. وقد قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾⁴⁵⁹، وقال -صلى الله عليه وسلم-:

"وما سكت عنه فهو عفو"⁴⁶⁰. بل إذا ترك النبي -صلى الله عليه وسلم- أمراً، فيجب أن يبحث حكمه من مصدر آخر، كما فعل خالد بن الوليد حين كف النبي -صلى الله عليه وسلم- من أكل الضب، وسؤال النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ حين أرسله إلى اليمن إذا لم يجد هو الحكم في كتاب الله ولا سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "أجتهد رأيي ولا آلو"⁴⁶¹.

8- لم ينقل أن الصحابة أو السلف يتلون القرآن لينتفع به الأموات⁴⁶².

الاعتراض: عدم النقل لا يدل على عدم الجواز، ولا على عدم الوجود، ثم عدم الوجود لا يدل على العدم⁴⁶³ بل على المجتهد أن يبحث إثبات الحكم على هذا الشيء الذي لم ينقل بوجه من وجوه الاجتهاد، مثل لذلك أنه لم ينقل إلينا الصلاة بالإيماء ولا التسمية عند الوضوء عمّن وصف وضوء النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومع ذلك قال به الفقهاء⁴⁶⁴.

الترجيح: ترى الباحثة أن هذه المسألة ترجع وتود إلى عدة مسائل من أصول الفقه، من بينها دلالة عدم النقل وقضية التروك، والقياس في العبادة. فهذه المسائل قد اختلف فيها الأصوليون فذهب

⁴⁵⁸ جمعة، علي. 2006 م. البيان القويم لتصحيح بعض المفاهيم. القاهرة: دار السندس. ص. 137، 139، 141.

⁴⁵⁹ القرآن الكريم. سورة مريم. 19: 64.

⁴⁶⁰ أبو داوود. د. ت. سنن أبي داوود. كتاب الأطعمة. باب ما لم يذكر تحريمه. ج. 3. ص. 354. رقم الحديث 3800. درجة الحديث: صحيح.

⁴⁶¹ المصدر السابق. كتاب القضاء. باب اجتهاد الرأي في القضاء. ج. 3. ص. 303. رقم الحديث 3592. درجة الحديث: ضعيف

لجهالة الحارث بن عمرو عن أناس من أهل حمص وقد صححه ابن عبد البر وابن قيم.

⁴⁶² ابن كثير. 1981 م. تفسير ابن كثير. ج. 6. ص. 462؛ الجيزاني، محمد بن حسين. 1998 م. قواعد معرفة البدع. المملكة السعودية العربية: دار ابن الجوزي. ص. 83.

⁴⁶³ السيناوي، حسن بن عمر. 1928 م. الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع. تونس: مكتبة النهضة. ج. 2. ص. 112؛ النملة، عبد الكريم بن علي. 1999 م. المهذب في أصول الفقه المقارن. الرياض: مكتبة الرشد. ج. 4. ص. 1948؛ العطار،

حسن بن محمد. د. ت. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 2. ص. 245.

⁴⁶⁴ ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد. د. ت. فتح القدير. بيروت: دار الفكر. ج. 1. ص. 23.

الجمهور إلى جواز القياس في العبادة⁴⁶⁵، وعدم النقل لا يدل على الحرمة، وهو ما عبر به "فقد الدليل بعد التفحص البليغ يستلزم عدم الحكم (الحكم التكليفي) لامتناع تكليف الغافل"⁴⁶⁶، وينتج عن هذا الاختلاف اختلافهم في قضية انتفاع الميت بتلاوة القرآن. فلعل الحق وصوله، ولعل الحق عدم ذلك، فإن هذه الأمور مغيبية عنها وليس الخلاف في الحكم الشرعي وإنما هو في أمر هل وقع ذلك أم لا، لأن الاعتماد في هذه القضية على فضل الله - تعالى -⁴⁶⁷.

وخروجاً من الخلاف مالت الباحثة إلى القول أن ثواب التلاوة لا يصل إلى الميت، وأنه لا ينتفع بقراءة القرآن لكنه ينتفع بالدعاء عقبها لأن الدعاء بعد الأعمال الصالحة محل الإستجابة وإنما الدعاء عقبها ينفعه، فكان من الأولى أن يقال انتفاع الميت بالدعاء عقب تلاوة القرآن، بدلاً من وصول ثواب التلاوة إلى الميت، فالانتفاع أعم من وصول الثواب، قال ابن الحاج: "من أراد وصول ثواب القراءة بلا نزاع، فليجعل ذلك الدعاء"⁴⁶⁸.

وبخصوص تلاوة القرآن الكريم عند طريق الحبيب نوح الحبشي، فإن الباحثة لا تنصح بها حيث لاحظت عدة مرات عندما تصبح الحجرة حافلة بالزوار، بعض الناس يتخطون القرآن الكريم وقت دخولهم أو خروجهم من الحجرة، وأن الأولاد قد يركلونه، وتعرض حرمه المصحف للإتهاك والامتهان، فالأجدر

⁴⁶⁵ أبو العنين، أكرم البدوي. 2007 م. تبصرة الدارسين بمباحث القياس. القاهرة: مطبعة الأزهر. ص. 60-63.

⁴⁶⁶ الإسنوي، عبد الرحيم بن حسن. 1999 م. نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول. بيروت: دار ابن حزم. ج. 2. ص. 946.

⁴⁶⁷ العدوي، علي بن أحمد. 1997 م. حاشية الشيخ علي على حاشية الخرشي. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 2. ص. 363.

⁴⁶⁸ ابن الحاج، محمد بن محمد. د. ت. المدخل. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ج. 1. ص. 344.

أن يأخذ المرء بسبيل الاحتياط فيستطيع الزائر أن يقرأ كتاب الله الكريم خارج الحجرة، حيث يكون المكان فارغاً وواسعاً في أكثر الأوقات والأحيان⁴⁶⁹.

قال ابن تيمية: بأن قراءة الأحياء تصل ثوابها للأموات سواء كانت بعيدة أو قريبة، قياساً على ما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه"⁴⁷⁰، فجعل الصيام يقبل النيابة فيقاس على ذلك جميع العبادات البدنية، وكذلك أنه ينتفع بالدعاء له والاستغفار والصدقة والعتق بالإجماع، فالقول في مواقع النزاع كالقول في موارد الإجماع. ثم رد احتجاج من قال بعدم وصولها بقوله وعبر عن حججهم بأنها داحضة، أن الآية الكريمة ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾⁴⁷¹، لم تنف انتفاع الإنسان بعمل غيره وإنما نفت أن يستحق غير سعيه بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾⁴⁷²، وهذا حق لا يستحق إلا سعي نفسه لا سعي غيره لكن لا يمنع ذلك أن الله -تعالى- يرحمه وينفعه بغير سعيه كما يدخل أطفال المؤمنين الجنة بغير سعيهم⁴⁷³.

⁴⁶⁹ قابلت الباحثة امرأتين تلازمان تلاوة القرآن عند ضريح الحبيب نوح -أحدهما من عرق هندي لا تستطيع التحدث بالملايوية ولا الإنجليزية، والأخرى أخبرت بأنها كانت متدينة بالهندوسية ثم أسلمت واستمها حسنة. تأتي في كل صباح لتلاوة القرآن وتستطيع أن تقرأ أكثر من خمسة أجزاء في هذه الحجرة ما لا تستطيع أن تقرأ بمثلها في أماكن أخرى. وبعد أن ختمت خمسة أجزاء أو سبعة، رجعت إلى منزلها بيدوق لتؤدي واجباتها المنزلية من الطبخ والتنظيف وغيرهما. وقد حاولت أن تقرأ القرآن في بعض المساجد، لكن غالباً ما يشغل ذهنها الأمور الدنيوية وتجهد صعوبة في ختم الجزئين. وحينما تكون في هذه الحجرة، وترى قبر الحبيب نوح الحنفي، وتذكر وصيته لتلاميذه والمسلمين قبل وفاته، بأن يتمسكوا بالقرآن الكريم، وأن يكثروا من تلاوته صباحاً ومساءً، فتحس حسنة بالهمة العالية والنشاط المذهل لتلاوة كتاب الله العزيز. وقد أخبرت الباحثة بعض الزوار الآخرين بمثل هذه الحكاية، لكن مجيئهم للزيارة لم يكن على الدوام.

⁴⁷⁰ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب الصوم. باب من مات وعليه الصوم. ج. 3.

⁴⁷¹ 35. 1952. #. الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الصيام. باب قضاء الصيام عن الميت. ج. 2.

803. #1147.

⁴⁷² القرآن الكريم. سورة النجم 53: 39.

⁴⁷³ القرآن الكريم. سورة النجم 53: 39.

⁴⁷³ ابن عبد الهادي، محمد. 2004 م. اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية. القاهرة: الفاروق الحديثة. ص. 91.

المطلب الثالث: حكم الاختلاط والخلوة في ضريح الحبيب نوح.

الفرع الأول: الاختلاط.

نظرا لضيق المساحة في الحجرة التي ضمت ضريح الحبيب نوح الحبشي، كثيرا ما يحدث الاختلاط بين الرجال والنساء أثناء ازدحامهم. فالمسافة بين الجدار الشمالي مع القبر من ناحية الرأس حول مترين ونصف، وكذلك بين الجدار الجنوبي مع القبر من ناحية الرجل. أما المساحة بين القبر والجدار الغربي وفيه باب المخرج إلى ضريح الحبيب عبد الرحمن الحبشي وإدارة المسجد مع دورات المياه نحو ثلاثة أمتار، وما بين الجدار الشرقي وفيه الباب الرئيس حول ثمانية أمتار وزيادة. واستطاعت هذه الغرفة أن تضم حوالي عشرة زوار على الحد الأقصى في آن واحد، لكن في وقت الازدحام، يفوق عدد الزوار يفوق إلى عشرين زائرا مما يؤدي إلى الاختلاط بين الرجال والنساء فيها.

وقد نهى الإسلام عن الاختلاط بين الرجال والنساء في العبادة. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها"⁴⁷⁴. كما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جعل في مسجده بابا خاصا للنساء ومنع الرجال منه خوفا من أن يختلط بين الرجال والنساء على الازدحام، وأيضا كان الصحابة يمشون قليلا بعد الصلاة لتنصرف النساء أولا.

⁴⁷⁴ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الصلاة. باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها وتقديم أولى الفضل وتقريبهم من الإمام. ج. 1: 326. #440. وأخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث. د. ت. سنن أبي داود. محمد عجي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية. تفريع أبواب الصفوف. باب صف النساء وكراهية التأخر عن الصف الأول. ج. 1. ص. 181. رقم الحديث 678. درجة الحديث: صحيح. وأخرجه الترمذي. 1998 م. سنن الترمذي. بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي. أبواب الصلاة. باب ما جاء في فضل الصف الأول. ج. 1. ص. 300. رقم الحديث 224. درجة الحديث: حسن صحيح.

فعلن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه، ويمكث هو في مقامه يسيرا قبل أن يقوم"⁴⁷⁵. قال مصطفى البغا: نرى أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن أحد من الرجال"⁴⁷⁶. وعن ابن عمر قال، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لو تركنا هذا الباب للنساء"⁴⁷⁷. وروي أن عمر بن الخطاب كان ينهى أن يُدخل من باب النساء"⁴⁷⁸. قال ابن مفلح⁴⁷⁹: "على الرجال أن يلبثوا قليلا بعد الانتهاء من الصلاة، وللنساء أن ينصرف سريعا حتى لا يختلطن بالرجال"⁴⁸⁰. وقال ابن حجر معلقا على الحديث في انصراف النساء قبل الرجال: "لوفيه اجتناب مواضع التهم وكراهة مخالطة الرجال بالنساء في الطرقات فضلا عن البيوت"⁴⁸¹.

⁴⁷⁵ الإمام البخاري. 1986 م. صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب صلاة النساء خلف الرجال. ج. 2: 408. #870. وأخرجه البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. 1403 هـ. شرح السنة. شعب الأرناؤوط وعبد زهير الشاويش. الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي. كتاب الصلاة. باب مكث الإمام في المصلي حتى ينصرف النساء. ج. 3. ص. 218. رقم الحديث 708. درجة الحديث: هذا حديث صحيح، أخرجه محمد بن عبد الله بن محمد عن عثمان بن عفان عن يوسف عن الهري وقال: وثبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن صلى معه من الرجال ما شاء الله، فإذا قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قام الرجال. ج. 2: 408. #870.

⁴⁷⁶ تعليقه في صحيح البخاري. 1986 م. كتاب الأذان. باب صلاة النساء خلف الرجال. ج. 2: 408. #870.

⁴⁷⁷ أبو داود. 1430 هـ. سنن أبي داود. شعب الأرناؤوط وعبد كامل قره بلش. كتاب الصلاة. باب اعتزال النساء في المسجد عن الرجال. ج. 1. ص. 347. رقم الحديث 462. درجة الحديث: رجاله ثقات إلا أن عبد الوارث - وهو ابن سعيد العبدي - قد خولف في رفعه، فقد رواه إسماعيل ابن علي وبكير بن عبد الله بن الأشج عن نافع عن ابن عمر عن قوله وفي باب التشديد في ذلك. ص. 427. رقم الحديث 571. درجة الحديث: صحيح رجاله ثقات، إلا أن عبد الوارث - وهو ابن سعيد العبدي - قد خولف في رفعه، فقد رواه إسماعيل ابن علي وبكير بن عبد الله بن الأشج عن نافع عن ابن عمر من قوله.

⁴⁷⁸ المصدر السابق. ج. 1. ص. 348. رقم الحديث 464. درجة الحديث: الحديث منقطع بين نافع وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ورجالهم ثقات. بكير: هو ابن عبد الله بن الأشج.

⁴⁷⁹ هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، (815-884هـ). من أهل قرية رامين من أعمال نابلس. دمشق المنشأة والوفاء. فقيه أصولي حنبلي. كان حافظاً مجتهداً ومرجع الفقهاء والناس في الأمور، ومن تصانيفه المبدع. (انظر يحيى مراد. 2004 م. معجم تراجم أعلام الفقهاء. ص. 321).

⁴⁸⁰ ابن مفلح. 1418 هـ. المبدع في شرح المنقح. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 2. ص. 102.

⁴⁸¹ العسقلاني، ابن حجر. د. ت. فتح الباري. بيروت: دار المعرفة. ج. 2. ص. 336.

ومما يدل على منع اختلاط الرجال بالنساء في الأماكن العامة ما رواه أبو داود عن أبي أسيد الأنصاري، أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول للنساء وهو خارج من المسجد، عندما اختلط الرجال مع النساء في الطريق: "استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بخافات الطريق"، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به⁴⁸². يدل هذا الحديث على أن اختلاط الرجال بالنساء لما وجد في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- نهي عنه، ولم يُقره، وشرع من الأحكام ما يمنع هذا الاختلاط، حتى في الطريق.

ومن المعلوم في تحريم اختلاط الرجال بالنساء، لما جبل الله -تعالى- الرجال على القوة والميل إلى النساء، وجبل النساء على الميل إلى الرجال مع وجود ضعف ولين. فإذا حصل الاختلاط نشأ عن ذلك آثار تؤدي إلى حصول الفرض السيئ، لأن النفس أمانة بالسوء والشيطان يأمر بالفحشاء. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾⁴⁸³. فالشريعة الإسلامية أسست على تحقيق المصالح ودرء المفاسد، كما أنها مبنية على المقاصد ووسائلها، ووسائل المقصود الموصلة إليه لها حكمه⁴⁸⁴، ولذلك حرم الاختلاط وسد الأبواب المفضية إلى تعلق كل فرد من أفراد النوعين بالآخر.

وقد أثار البعض شبهة، بأن الاختلاط المحرم لما كان فيه تضام وتلاصق بالأجسام، وأن اختلاط النساء بالرجال إذا لم يكن خلوة مع الصيانة وستر العورات وأمن الفتنة فحينذاك ليس بحرام. وعلى من

⁴⁸² أبو داود. 1430 هـ. سنن أبي داود. شعب الأرئوط ومحمد كامل قره بللي. كتاب أول كتاب الأدب. باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق. ج. 7. ص. 543. رقم الحديث 5272. درجة الحديث: إسناده ضعيف لجهالة شداد بن أبي عمرو وأبي اليان وهو كثير الرحال. والبيهقي في شعب الإيمان رقم الحديث 7821 من طريق الحارث بن الحكم عن أبي عمرو ابن حماس مرسلًا بلفظ: "ليس للنساء سراة الطريق". ووقع عند الطبراني أن له صحة، لكن في إسناده عند الطبراني إسحاق بن محمد المسيبي، وهو ضعيف الحديث. وهذا المرسل يعمل الموصول، فهذه علة ثانية للحر.

⁴⁸³ القرآن الكريم. سورة يوسف 12: 53.

⁴⁸⁴ محمد الطاهر بن محمد التونسي. 1425 هـ. مقاصد الشريعة الإسلامية. محمد الحبيب ابن الخوجة. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ج. 2. ص. 150.

يعرف أنه لا يستطيع أن يمنع نفسه ما دام في المجلس من النظر المحرم، فاستمراره هناك حرام عليه، لأجل الفتنة وليس الاختلاط. واستدلوا على ذلك بما يأتي:

1- عن أنس قال: "قدمنا مع أبي موسى الأشعري صلى بنا العصر في المزد، ثم جلسنا إلى مسجد الجامع، فإذا المغيرة بن شعبة يصلي بالناس، والرجال والنساء مختلطون فصلينا معهم" ⁴⁸⁵.

2- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يدخلن رجل، بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان" ⁴⁸⁶.

3- عن سهل قال: "لما عرض أبو أسيد الساعدي دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، فما صنع لهم طعام ولا قرّبه إليهم إلا امرأته أم أسيد" ⁴⁸⁷.

وجه الدلالة: دل هذا الحديث على جواز خدمة النساء للرجال، وخدمتهن لهم يستلزم الاختلاط. وهذا يجوز عند أمن الفتنة، ومراعاة ما يجب عليها من الستر ⁴⁸⁸.

ويعترض: إن هذا الاختلاط إنما يكون للحاجة، وهي خدمة الضيف، بشرط وجود الزوج، والتستر أولاً ثميل في القول، ويجب أن تكون على الحياء. قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُهُ أَحَدُهُمَا بِمَا تَمْشَى عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ

⁴⁸⁵ ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم. 1405 هـ. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف. أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف. الرياض: دار طيبة. ج. 2. ص. 401. رقم الحديث 1109.

⁴⁸⁶ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب السلام. باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها. ج. 4: 1711. #2173.

⁴⁸⁷ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب النكاح. باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس. ج. 7: 26. #5182. أخرجه الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الأشربة. باب إباحة النبيذ الذي لم يشدد ولم يصبر مسكراً. ج. 3: 1590. #2006. وأخرجه أبو حاتم الدارمي، محمد بن حبان. 1408 هـ. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. 12. ص. 217. رقم الحديث 5395. درجة الحديث: إسناده صحيح على شرط البخاري. محمد بن يحيى: هو الذهلي من رجال البخاري ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين. ابن أبي مريم: هو سعيد بن الحكم المصري. وأبو حازم: هو سلمة بن دينار الأعرج.

⁴⁸⁸ العسقلاني، ابن حجر. د. ت. فتح الباري. ج. 9. ص. 251.

إِنَّكَ أَمْرٌ يَدْعُوكَ لِجَزَائِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۖ⁴⁸⁹ . انظر كيف أدب الله النساء في تعاملهن مع الرجال، بأن تكون هن الحياء وألا يخضعن بالقول، فيطمع الذي في قلبه مرض، بل يكون الكلام جازماً مختصراً. هذا عند قيام الحاجة إلى الاختلاط والتعامل، وإن لم تكن في حال ضرورة، فيجب أن تكون مبتعدة عن الرجال. قال الله - عز وجل - في صدر هذه القصة: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۚ⁴⁹⁰ ومعنى تَذُودَانِ في اللغة؛ الذود لا يكون إلا إناثاً وهو القطيع من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر⁴⁹¹ . الذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر وهي مؤنث، ولا واحد لها من لفظها، والكثير أذواد. والذيادة: الطرد، تقول: ذدته عن كذا. وذدت الإبل: سقتها وطردها والتدويل مثله. وأذدت الرجل: أعتته على ذيادة إبله. ورجل ذائد وذواد، أي حامي الحقيقة دفاع. والمذود: اللسان⁴⁹² . أما معناه عند المفسرين؛ تحبسان غنمهما يقال منه: ذاد فلان غنمه وماشيته: إذا أراد شيئاً من ذلك يشده ويذهب فرداً ومنعه يذودها ذوداً⁴⁹³ . يعني حابستين الغنم لتسقى⁴⁹⁴ . فتفهم الباحثة أنهما كانتا متعلقتين من الرجال ولم يزلوا.

⁴⁸⁹ القرآن الكريم. سورة القصص 28: 25.

⁴⁹⁰ القرآن الكريم. سورة القصص 28: 23.

⁴⁹¹ أبو منصور، محمد بن أحمد. 2001 م. تهذيب اللغة. محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. 14. ص. 106.

⁴⁹² الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد. 1407 هـ. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الرابعة. بيروت:

دار العلم للملايين. ج. 2. ص. 471.

⁴⁹³ الطبري، محمد بن جرير. 1420 هـ. جامع البيان في تأويل القرآن. أحمد محمد شاكر. د. م: مؤسسة الرسالة. ج. 19. ص. 551.

⁴⁹⁴ أبو الحسن مقاتل بن سليمان. 1423 هـ. تفسير مقاتل بن سليمان. عبد الله محمود شحاته. بيروت: دار إحياء التراث. ج. 3. ص.

4- انعقاد الإجماع على أن الجمعة تجزئ للمرأة، وأنهن يصلين خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كما أثبتت الأحاديث الصحيحة المستفيضة ذلك⁴⁹⁵.

ويعترض: إن ذلك لا يستلزم مخالطتهن بالرجال، حيث قد جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن بابا خاصاً، كما ترك الصحابة لمن فرصة للانصراف من المسجد قبل الرجال. وأيضاً إن الأفضل لمن أن يصلين في بيوتهم فقد روي عن أم حميد أنها قالت للنبي - صلى الله عليه وسلم -: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك. قال: قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي. قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصى البيت من بيوتها وأظلمه، فكانت والله تصلّي فيه حتى ماتت⁴⁹⁶. وفي رواية، إن أحب صلاة المرأة إلى الله في أشد مكان من بيتها ظلمة⁴⁹⁷.

يدل هذان الحديثان على أن صلاة المرأة في بيتها أفضل؛ وذلك ليسد باب الاختلاط مع الرجال، وحتى لا ينظر إليها أهل الفساد، لذلك أرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن يريد منهن أن تأتي المسجد

⁴⁹⁵ النووي. د. ت. المجموع شرح المذهب. د. م: دار الفكر. ج. 4. ص. 484.

⁴⁹⁶ أحمد بن محمد بن حنبل. 1421 هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. شعب الأرئوط وآخرون. ج. 45. ص. 37. رقم الحديث 27090. درجة الحديث: حديث حسن، عبد الله بن سويد الأنصاري وهو الفراء، وقد روى عن عمته أم حميد، وفيه رجال ثقات رجال الشيخين، غير داود بن قيس فمن رجال مسلم، وأخرج له البخاري في الشواهد، وغير صحابة الحديث. هارون: هو ابن معروف المروزي. وأخرجه أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة. د. ت. صحيح ابن خزيمة. محمد مصطفى الأعظمي. بيروت: المكتب الإسلامي. ج. 3. ص. 95. رقم الحديث 1689. درجة الحديث: حسن. وأخرجه أبو حاتم الدارمي، محمد بن حبان. 1408 هـ. صحيح ابن حبان. شعب الأرئوط. ج. 5. ص. 596-595. رقم الحديث 2217. درجة الحديث: قوي. عبد الله بن سويد الأنصاري ترجمة البخاري ولم يذكر له جرحاً ولا تعديلاً، وباقي السند رجاله ثقات رجال الصحيح. وعبد الله بن سويد الأنصاري، وثقه ابن حبان.

⁴⁹⁷ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة. د. ت. صحيح ابن خزيمة. محمد مصطفى الأعظمي. كتاب الإمامة في الصلاة وما فيها من السنن مختصر من كتاب المسند. باب اختيار صلاة المرأة في أشد مكان من بيتها ظلمة. ج. 3. ص. 96. رقم الحديث 1692.

بأن يخرجن وهن تفلات. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن تفلات" ⁴⁹⁸.

5- إن النساء تطوف بالبيت مختلطات مع الرجال.

ويعترض: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- منعهم من الاختلاط بالرجال، وكان الصحابة -رضي الله عنه-م يمنعونهم من الاختلاط بالرجال في الطواف. فقد روي عن عطاء أنه سئل عن اختلاط نساء النبي عليه الصلاة والسلام بالرجال في الطواف فقال: لم يكن يخالطن، كانت عائشة تطوف حجرة من الرجال لا يخالطهن ⁴⁹⁹. وروي عن النخعي أن عمر -رضي الله عنه- نهي أن يطوف الرجال مع النساء. قال: فرأى رجلاً معهن، فضربه باللبدة ⁵⁰⁰.

الترجيح: في رأي الباحث أن الراجح هو النهي عن الاختلاط؛ لقوة دليل هذه الفرقة حيث صرح النبي -صلى الله عليه وسلم- بالنهي عن المخالطة، ومنع من اشتراك الرجال والنساء في أبواب المسجد والطرق؛ سدا لذريعة الاختلاط، ففيما سوى ذلك من باب الأولى. بيد أن مخالطة الرجال بالرجال ليس كمخالطتهم بالنساء، لما ينشأ عنها من المفاسد وأثاره الفحشاء. والأدلة على ذلك كثيرة، منها أن الله سبحانه

⁴⁹⁸ أبو داود. 1430 هـ. سنن أبي داود. شعيب الأرنؤوط ومحمد صالح قره علي. كتاب الصلاة. باب في خروج النساء إلى المسجد. ج. 1. ص. 423. رقم الحديث 565. درجة الحديث: صحيح لغيره. وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عمرو وهو ابن علقمة الليثي وباقي رجاله ثقات. حماد: هو ابن سلمة. وأخرجه أحمد بن محمد بن حنبل. 1421 هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج. 15. ص. 405. رقم الحديث 9645. وج. 16. ص. 133. رقم الحديث 10144. درجة الحديث: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن لأجل محمد بن عمرو وباقي رجال الإسناد ثقات، رجال الشيخين.

⁴⁹⁹ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب الحج. باب طواف النساء مع الرجال. ج. 2. ص. 152. #1618. وأخرجه الإمام البيهقي. 1424 هـ. السنن الكبرى. محمد عبد القادر عطا. الطبعة الثالثة. جامع أبواب دخول مكة. باب طواف المرأة مع الرجال. ج. 5. ص. 127. رقم الحديث 9248. وأخرجه الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام. 1403 هـ. المصنف. حبيب الرحمن الأعظمي. الطبعة الثانية. الهند: المجلس العلمي. كتاب المناسك. باب طواف الرجال والنساء معاً. ج. 5. ص. 68. رقم الحديث 9019.

⁵⁰⁰ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. 1379 هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة. ج. 3. ص. 480.

وتعالى أمر كلا الجنسين أن يغض بصره عن الآخر، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ

وَيَحْفَظُوا أَرْوَاحَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ

أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾⁵⁰¹. ومعلوم، أنه لما أمر الله

سبحانه وتعالى الجنسين بغض البصر وحرَمَ النظر بغير حاجة⁵⁰²، فتحریم اختلاطهم من باب الأولى.

وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾⁵⁰³، قال ابن عباس:

هو الرجل يدخل على أهل بيت ومنهم المرأة الحسنة تمر به، فإذا غفلوا لحظها، فإذا فطنوا غَضَ بصره

عنها، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غَضَ، وقد اطلع الله -تعالى- من قلبه أنه ود لو نظر إلى عورتها. وتأمل

في وصف الله -تعالى- العين التي تسارق النظر إلى المرأة الأجنبية بأنها خائنة فكيف بالاختلاط. وقول

النبي -صلى الله عليه وسلم-: "المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان"⁵⁰⁴. فحال المرأة مبنية على

التستر. وقد نص الفقهاء على تحريم الاختلاط⁵⁰⁵.

⁵⁰¹ القرآن الكريم. سورة النور 24: 31-30.

⁵⁰² كنظر الطبيب إلى المريضة ليفحصها والعكس سواء، وكالنظر وقت التعليم والعكس سواء، وكالنظر وقت البيع والشراء.

⁵⁰³ القرآن الكريم. سورة غافر 40: 19.

⁵⁰⁴ الإمام الترمذي، محمد بن عيسى. 1998 م. سنن الترمذي. بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي. أبواب الرضاع. باب

18. ج. 2. ص. 467. رقم الحديث 1173. درجة الحديث: حسن صحيح غريب. وأخرجه البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو. 2009

م. البحر الزخار. محفوظ الرحمن زين الله. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. ج. 5. ص. 428. رقم الحديث 2065. درجة الحديث: وهذا

الحديث أخرجه الجراح بن مخلد، ذكر أنه أصله، عن عمرو بن عاصم، مدرجة بإسناد واحد، فأنكرنا عليه حديث صلاة الوسطى صلاة

العصر، وكان هذا الكلام في وسط الأحاديث، ولم أر أحداً تابع الجراح على هذه الرواية.

⁵⁰⁵ منهم السرخسي وابن عابدين وأبو زيد القيرواني والنفراوي والشيرازي والحجاوي والبهوتي ومن المعاصرين سيد سابق وغيرهم كثيرون.

الفرع الثاني: الخلوة.

المراد بها: انفراد الرجل بالمرأة الأجنبية في مكان لا يراهم فيه أحد. وهي محرمة بالإجماع، قال النووي: "وأما إذا خلا الأجنبي بالأجنبية من غير ثالث معهما فهو حرام باتفاق العلماء، وكذا لو كان معهما من لا يستحي منه لصغره كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك، فإن وجوده كالعدم"⁵⁰⁶. ومما يدل على تحريم الخلوة ما يأتي:

- 1- عن جابر -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس لها محرم، فإن ثالثهما الشيطان"⁵⁰⁷.
 - 2- عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون بأكحها أو ذاكحرم"⁵⁰⁸.
 - 3- عن عقبة بن عامر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفأرأيت الحمى، قال: الحمى الموت"⁵⁰⁹. والدخول يعني الخلوة.
- وقد تحدث هذه الخلوة في ضريح النبي -صلى الله عليه وسلم- في وقت لم يكن فيه كثير من الزوار، كأول الصباح أو آخر الليل، فصار لا يوجد في الحجرة أحد إلا رجل وامرأة أو خادم الضريح وزائرة، ونستطيع أن نطلق

⁵⁰⁶ النووي. 1392 هـ. شرح النووي على صحيح مسلم. الطبعة الثانية. ج. 9. ص. 109. رقم الحديث 1341.

⁵⁰⁷ أحمد بن محمد بن حنبل. 1421 هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج. 23. ص. 19. رقم الحديث 14651. وأخرجه صهيب عبد الجبار. د. ت. الجامع الصحيح للسنن والمسانيد. د. م: د. ن. ج. 4. ص. 112. وج. 23. ص. 496. وج. 34. ص. 400. درجة الحديث: صحيح.

⁵⁰⁸ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب السلام. باب تعريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها. ج. 4: 1710. #2171.

⁵⁰⁹ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب النكاح. باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو عزم والدخول على المغيبة. ج. 7: 37. #5232.

على هذا الانفراد بالخلوة، حيث إن الحجرة لا تُرى من يكون فيها؛ لأنها في مكان مرتفع على الجبل. وإن قيل إن باب حجرة الضريح ونوافذها مفتوحة، إلا أن الخلوة ما ارتفعت بذلك لأمرين:

الأمر الأول: قلة الناس، ومجيئهم في هذا الوقت كان نادراً⁵¹⁰.

الأمر الثاني: ولو كان باب الحجرة ونوافذها مفتوحة، ما زال من كان بخارجها لا يستطيع أن يرى ما بداخلها لارتفاعها.

أما في صورة انفراد الرجل بالأجنبية مع وجود عدد من النسوة، فقد اختلف في ذلك الفقهاء:

المذهب الأول: إن ذلك يعتبر خلوة وإلى ذهب المالكية والحنابلة ووجه عند الشافعية.

المذهب الثاني: ذهب الحنفية وبعض محققي الشافعية إلى أنه ليس من الخلوة المحرمة شرعاً. قال النووي: "والمشهور جواز خلوة رجل بنسوة إلا محرم ليهنهن؛ لعدم المفسدة غالباً، لأن النساء يستحجن من بعضهن بعضاً في ذلك"⁵¹¹.

الترجيح:

المذهب الثاني هو الراجح؛ لأن الخلوة المحرمة معناها انفراد الرجل بالمرأة كما نص عليه الحديث، وبوجود عدد من النسوة لا ينطبق هذا المعنى. وقد حدث عبد الله بن عمرو بن العاص أن نفراً من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس، فدخل أبو بكر الصديق وهي تحته يومئذ، فرأهم ففكر ذلك، فذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقال: "لم أر إلا خيراً"، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "إن الله قد برأها من ذلك"، ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر فقال: "لا يدخل رجل

⁵¹⁰ فهد بن سالم باهام. 2010. "الدليل الفقهي". أحوال الخلوة بالأجنبية وأحكامها.

⁵¹¹ النووي. 1392 هـ. شرح النووي على صحيح مسلم. الطبعة الثانية. ج. 14. ص. 155. رقم الحديث 2173. <http://www.fikhguide.com/almbt3th/61>

بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان⁵¹². دل الحديث على رفع حكم الخلوة بوجود عدد من الرجال والنساء، وتنصح الباحثة زوار ضريح الحبيب نوح بترك الخلوة بالأجنبي أو الأجنبية فيه، حتى لا يسلك سبيل الحرمة في طريق طاعته لله تعالى.

المبحث الثاني:

حكم إسراج القبر وتعطيره وكسوته وتقبيله.

يسرج ضريح الحبيب نوح الحبشي قبيل المغرب، وكادت أن تغلق جميع الأنوار في دائرة الضريح بعد فريضة العشاء بساعة. فستناول الباحثة بعون الله -تعالى- في بيان حكم ذلك الإسراج، وما اختلف فيه العلماء، بعد وصف ذلك الإسراج، وأهم شيء هو بيان الغرض من وراء ذلك الإسراج، إذ به يعرف وينتج الحكم.

المطلب الأول: حكم إسراج الضريح.

من الأمور التي دار عليها نقاش في ضريح الحبيب نوح في سنغافورة هي إسراج قبره بالأنوار. وقد اختلف المسلمون في حكم إسراج المقام إلى المصحين والمنايعين. فأرادت الباحثة أن تمنع المسلمين من دوام المشاجرة في أمور خلافية بتقريب مفاهيمهم، والأخذ بالسبيل الأمثل. وقبل أن تسرد الأقوال في هذا الموضوع، تود أن توضح ما الذي يهدف إليه المرء عندما يسرج قبر ميتة. وقد اطلعت عليه الباحثة⁵¹³ أنه يدور في الأمور الآتية: إما لإنارة صاحب القبر⁵¹⁴، فهذا اعتقاد باطل؛ لأن الميت منور في قبره بحسناته

⁵¹² الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب السلام. باب تعريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها. ج. 4: 1711. #2173.

⁵¹³ وفي سنغافورة هناك من يسرج القبر ولا يعرف الغرض والهدف منه ولا يدري هل هو أمر مشروع أم يتبع ما يفعل الكثيرون. وفي مثل هذا الاتباع الأعمى يجب الامتناع والانتباه عليه.

⁵¹⁴ يعتقد لولا المصباح فالملت لا يستطيع أن يرى في الظلمة، وقد حدث ذلك في سنغافورة في مقابر العوام، حيث وُضع المصباح الأوتوماتيكي، ويسجل له وقت معين لتشغيله قبيل الليل، وينتهي في ساعة معينة في آخر الفجر من الصباح، باعتقادهم أن ذلك المصباح الأوتوماتيكي أو السراج أو الشمعة سينور صاحب القبر ويستنير به.

المقبولة وبرحمة منه تعالى. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديثه الطويل عن أحوال الميت في قبره: ". . . ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً وينور له فيه فيقال له نعم . . . " (إلى آخر الحديث)⁵¹⁵. أو يكون إسراجهم للقبر لإنارة زواره، فهذا الغرض لفائدة الحي، وفاعله متماسياً بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس"⁵¹⁶. وإما يكون الغرض من إسراج القبر للتجمل والتزين⁵¹⁷، فلما كان القبر مزيناً جميلاً، سيدفع رغبة الزائر للتصوير، ويترب منه إضاعة حكمة زيارة القبر، من تذكر هادم اللذات والآخرة، وإما يكون الغرض منه للمفاخرة وابتغاء وجه المباهاة رياء على الأحياء⁵¹⁸. وهذا منهى عنه؛ لأن الحكمة الرئيسة في زيارة القبر للاتعاظ بذكر الموت. فلو صار القبر مزيناً بأمتعة ثمينة، مجتملاً بأشياء غالية؛ ليري الناس ثروة الميت، وإظهار ماله من الغنى والمربة، فقد ضاع الغرض من الزيارة، وفاتت حكمتها⁵¹⁹.

⁵¹⁵ ابن الضحاك، أحمد بن عمرو. 1400 حديث كتاب السنن، دار: المكتب الإسلامي، ج. 2، ص. 416. رقم الحديث 864. درجة الحديث: إسناده حسن؛ أبو يعلى، أحمد بن علي، 1404 هـ، مسند أبي يعلى، حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ج. 11، ص. 521. رقم الحديث 6644. درجة الحديث: إسناده حسن؛ ابن حبان، محمد بن حبان، 1408 هـ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج. 7، ص. 381، 382. رقم الحديث 3413. درجة الحديث: إسناده حسن من أجل محمد بن عمرو وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي. وفي ج. 7، ص. 386. رقم الحديث 3117. درجة الحديث: إسناده قوي. بشر بن معاذ العقدي روى عنه جمع، وذكره المؤلف في الثقات وقال أبو حاتم: صالح الحديث صدوق، وثقة النسائي في أسماء جيوشم وقال مسلمة بن قاسم: بصري ثقة صالح، وقد توبع عليه، ومن فوقه من رجال الصحيح. وفي ج. 7، ص. 392، 393. رقم الحديث 3122. درجة الحديث: إسناده حسن، فإن أبا السمح وهو دراج أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي القيس عن أبي سعيد، وهو هنا روى عن ابن حجرية وهو عبد الرحمن بن حجرية الخولاني، قاضي مصر، أخرج له مسلم وأصحاب السنن، وثقة النسائي وغيره.

⁵¹⁶ الإمام الطبراني، سليمان بن أحمد. د. ت. المعجم الأوسط. طارق بن عوف الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. ج. 6، ص. 58. رقم الحديث 5787. درجة الحديث: لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا عبد الملك بن أبي كريمة، تفرد به علي بن هرام.
⁵¹⁷ كتملق الأنوار المزينة حول جدران القبر أو فوقه أو قريباً منه، وفي سنغافورة وماليزيا وإندونيسيا، الأنوار المزينة عندهم عبارة عن نظم مصابيح صغيرة على مختلف الألوان أكثرها استعمالاً، الأصفر والأخضر والأزرق والأحمر.

⁵¹⁸ ومعظم الفاعلين في هذا الأمر من صفوف الأغنياء كالوزراء والرؤساء والملوك
⁵¹⁹ حسب معرفة الباحثة أن هذا الغرض قد حدث في سنغافورة كثيراً من البوذيين الصينيين، حيث كلما مات منهم نفس قبل دفنه، ضرب على مسكنه بنوع من القماش الكبير حجمه، يعلقونه على جدار عمارة الميت، وجنب الشارع العمومي الذي سكن فيه، فكثرة هذا القماش يدل على ثروة الميت وغناه. فإن كان غنياً فالقماش سيكون كثيراً، وإن كان من عوام الناس، فلا تعلق إلا قطعتان من القماش أو ثلاثة. أما المسلمون السنغافوريون لا يفعلون لميتهم هكذا ولا لقبر موتاهم، فلو فعلوه فهو كتعبير نخبتهم، وليس من أجل المفاخرة.

فضريح الحبيب نوح الحبشي يضيء بالمصباح الكهربائي. توضع هذه المصابيح على السور المحاطة بالمقام والسلام وعند باب المدخل كما توجد أيضا عدة مصابيح في حجرة المقام. تضاء هذه المصابيح قبيل المغرب وتقتل جميعها حوالي بعد ساعة من أداء جماعة العشاء، إلا عددا قليلا منها، وهي الواقعة على سور المقام، وقارة يترك مصباحا واحدا لإضاءة حجرة المقام وقارة أخرى يقفل وتترك الحجرة في حنادس الظلام. قد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث يمنع من خلاله إسراج القبور. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "البحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج" ⁵²⁰.

هذا الحديث حسنه الترمذي ⁵²¹ إلا أن فيه نظرا، حيث من رواه أبو صالح، واسمه باذام ويقال باذان أو ذكوان مولى أم هانئ بنت أبي طالب، فهو ضعيف عند جمهور النقاد، حيث قيل: إنه لم يسمع من ابن عباس ⁵²². وقال ابن عدي: ولا أعلم أحدا من المتقدمين رضيه، وقال عنه الحافظ في التقريب: ضعيف مدلس ⁵²³. وقال عنه النسائي: ضعيف ⁵²⁴. قال ابن حبان أن يحيى القطان وابن

⁵²⁰ الإمام أحمد بن حنبل. 1995 م. المسند. القاهرة: دار الحديث. ج. 3. ص. 491-492. رقم الحديث 2030؛ أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. بيروت: دار الفكر. كتاب الجنائز. باب زيارة النساء القبور. ج. 3. ص. 218. رقم الحديث 3236. النسائي. 2010 م. سنن النسائي. القاهرة: دار الحديث. كتاب الجنائز. باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور. ج. 2. ص. 543. رقم الحديث 2042؛ ابن حبان، محمد بن حبان. 1993 م. صحيح ابن حبان بترتيب بلبان. بيروت: مؤسسة الرسالة. كتاب الجنائز. باب ذكر لعن المصطفى المتخذات المساجد والسرج على القبور. ج. 7. ص. 453؛ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. 1983 م. سنن الترمذي. بيروت: دار الفكر. كتاب الصلاة. باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا. ج. 1. ص. 201. رقم الحديث 319.

⁵²¹ البغوي. 1983 م. شرح السنة. بيروت: المكتب الإسلامي. ج. 2. ص. 416-417. رقم الحديث 510.

⁵²² آبادي، أبي طيب محمد شمس الحق العظيم. د.ت. عون المعبود شرح سنن أبي داود. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ج. 9. ص. 42-43.

تعليق محقق سنن النسائي. ج. 2. ص. 543.

⁵²³ ابن حجر، أحمد بن علي. د.ت. تقريب التهذيب. د. م. دار العاصمة. ص. 162 و 163.

⁵²⁴ النسائي، أحمد بن شعيب. 1985 م. الضعفاء والمتروكين. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. ص. 61.

المهدي⁵²⁵ تركه وأن ابن معين قال عنه: "ضعيف الحديث"⁵²⁶. قال الذهبي: "إن البخاري ضعفه وبعض المحدثين اتهمه بالكذب"⁵²⁷. قال الكلبي: "قال لي أبو صالح: "كل شيء حدثك فهو كذب"، وقال له أيضا: "انظر كل شيء رويته عني عن ابن عباس فلا تروه"⁵²⁸. وقال الألباني: "أنه لم ير ذكر السرج في غير هذا الحديث، ولأجل ذلك فهو منكر"⁵²⁹.

إلا أن الذهبي قال: "إن يحيى بن القطان قال: إنه لم ير أحدا من أصحابه يترك أبا صالح وما سمع أحدا من الناس يقول فيه شيئا ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان"⁵³⁰. وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: "ليس به بأس"⁵³¹ وثقة العجلي⁵³². وقال أحمد شاکر في تعليقه على مسند الإمام أحمد بأن هذا الحديث صحيح، وليس لمن ضعف أبا صالح حجة، وإنما تكلموا فيه من أجل التفسير الكثير المروي عنه⁵³³.

- ⁵²⁵ قال البخاري: "ترك ابن المهدي حديث أبي صالح". الإمام البخاري. 1986 م. الضعفاء الصغير. بيروت: دار المعرفة. ص. 26.
- الإمام البخاري. د. ت. التاريخ الكبير. د. م. د. ن. ج. 2. ص. 114. قال المنذ أن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال أن أبيه قال أن ابن مهدي ترك حديث أبي صالح. المزني، جمال الدين أبي الحجاج يوسف. 1983 م. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. 4. ص. 7.
- ⁵²⁶ ابن حبان. 2000 م. المجروحين من المحدثين. د. م. د. ن. ج. 1. ص. 210.
- ⁵²⁷ الذهبي، محمد بن أحمد. 1995 م. ميزان الاعتدال. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 2. ص. 3.
- ⁵²⁸ الجرجاني، عبد الله بن عدي. 1985 م. الكامل في ضعفاء الرجال. بيروت: دار الفكر. ج. 2. ص. 69.
- ⁵²⁹ ابن حجر. 2001 م. هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاحب والمشكاة. الدمام: دار ابن عفان. ج. 1. ص. 345. بتعليق الألباني.
- ⁵³⁰ الجرجاني، عبد الله بن عدي. 1985 م. الكامل في ضعفاء الرجال. بيروت: دار الفكر. ج. 2. ص. 69؛ المزني، جمال الدين أبي الحجاج يوسف. 1983 م. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. 4. ص. 7.
- ⁵³¹ آبادي، أبي طيب محمد شمس الحق العظيم. د. ت. عون المعبود شرح سنن أبي داود. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ج. 9. ص. 43؛ الذهبي، محمد بن أحمد. 2003 م. تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال. القاهرة: الفاروق الحديثة. ج. 2. ص. 5.
- ⁵³² السبكي، محمود محمد. د. ت. المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي. ج. 9. ص. 102.
- ⁵³³ الإمام أحمد بن حنبل. 2001 م. مسند الإمام أحمد. ج. 2. ص. 491. (تعليق أحمد شاکر).

وقال ابن حبان بأن أبا صالح هو ميزان البصري وهو ثقة وليس هو صاحب الكلبي⁵³⁴. قال عنه الحافظ في التقریب: "مقبول"⁵³⁵. والصحيح أن أبا صالح في هذا الحديث هو مولى أم هانئ كما ذكره الحافظ في التهذيب، فإن علي بن مسلم الطوسي روى هذا الحديث عن شعيب عن محمد بن جحادة سمعت أبا صالح مولى أم هانئ فذكر هذا الحديث وجزم بكونه مولى أم هانئ⁵³⁶.

وترى الباحثة أن الحديث ضعيف، إذ تكلم النقاد في أبي صالح مولى أم هانئ هذا. وإن كان قد رجع عن جميع مروياته عن ابن عباس، واعترف بكذبه على الكلبي إلا أن هذا الحديث قد رواه بعد هذا الرجوع والاعتراف، جاء في رواية الإمام أحمد أن الكلبي قال: "سمعت أبا صالح يحدث بعد ما كبر عن ابن عباس قال: فذكر الحديث⁵³⁷."

ويستفاد من هذا الحديث منع وكراهة اخذ السرج والمصابيح على القبور؛ لما فيه من تضييع المال والمبالغة في تعظيم القبور⁵³⁸ وأن أنوار هذه المصابيح لا تنفع الميت إذ نور قبره يكون من عمله الصالح، وليس من إيقاد الأحياء لهم السرج⁵³⁹. لما في إيقاد الأنوار عليها من التعظيم تشبيها لها بالأصنام⁵⁴⁰، وما فيه من التشبه باليهود والنصارى، حيث يوقدون على قبور صلحائهم السرج واعتقاد بعض الناس على

⁵³⁴ ابن حبان، محمد بن حبان. 1993 م. صحيح ابن حبان بترتيب بابن حبان. ج. 7. ص 453؛ ابن حبان، د. ت. الثقاف. الهند: مطبعة الدائرة المعارف. ج. 5. ص. 458.

⁵³⁵ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. د. ت. تقریب التهذيب. د. م: دار العاصمة. ص. 988.

⁵³⁶ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. د. ت. تهذيب التهذيب. الهند: مجلس دائرة المعارف. ج. 10. ص. 385-386.

⁵³⁷ أحمد بن حنبل. 1995 م. المسند. القاهرة: دار الحديث. ج. 2. ص. 491-492. رقم الحديث 2030.

⁵³⁸ السبكي، محمود محمد. د. ت. المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي. ج. 9. ص. 102؛ العيني، محمود بن أحمد. 1999 م. شرح سنن أبي داود. الرياض: مكتبة الرشد. ج. 6. ص. 193؛ المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم.

1998 م. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. 2. ص. 277.

⁵³⁹ كشميري، محمد أنوار شاه. 2004 م. العرف الشدي شرح سنن الترمذي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. 1. ص. 322.

⁵⁴⁰ الطاهر الزاوي. د. ت. ملخص فتوى مفتي ليبيا الأسبق حول زيارة القبور والبناء عليها وحكم هدم الأضرحة والمشاهد المبنية عليها وما

حكم زيارة القبور والأضرحة. طرابلس: المدينة السياحية. ص. 66.

أن أصحاب القبور يخرجون يكلمون بعضهم بعضا عند خلو المكان من الناس، والعمل بالاعتقاد الباطل حرام⁵⁴¹.

أما لإفادة الزائر فمباح⁵⁴²، لحديث ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل قبرا ليلا، فأسرج له سراج، فأخذه من قبَل القبلة وقال: "رحمك الله إن كنت لأوَّاهًا تلاء للقرآن وكبر عليه أربعاً"⁵⁴³. قال ابن القطان: هذا الحديث في إسناده ثلاثة، كل واحد منهم مختلف فيه بحيث يقال على الاصطلاح: الحديث من روايته حسن، أي له حال بين حالي الصحيح والسقيم بل أحدهم ربما تنزلت روايته عن هذه الدرجة إلى درجة الضعف وهو حجاج بن أرطاة⁵⁴⁴.

فالثلاثة المجروحون هم: الحجاج بن أرطاة فهو ضعيف مدلس، وإن كان أبو حاتم يقول إنه صدوق يدلّس عن الضعفاء، يكتب حديثه ثم إن من الناس من يوثقه إلا أنه إلى الضعف أقرب⁵⁴⁵. والثاني هو منهال بن خليفة ضعفه ابن معين⁵⁴⁶، وقال البخاري فيه نظر⁵⁴⁷، وقال أبو حاتم: صالح يكتب حديثه، وقال أبو داود: جازئ الحديث، وقال البزار: ثقة⁵⁴⁸. وآخرهم: يحيى بن يمان: وهو مضطرب الحديث⁵⁴⁹ لكن ابن معين قال بأنه صدوق وليس به بأس⁵⁵⁰.

⁵⁴¹ الكاندهلوي، محمد يحيى بن محمد إسماعيل. 1975 م. الكتب الدلائل على جامع الترمذي. الهند: مطبعة ندوة العلماء. ج. 1. ص. 317.

⁵⁴² كشميري، محمد أنوار شاه. 2004 م. العرف الشافعي شرح سنن الترمذي. ج. 1. ص. 322. محمد أنوار شاه. د. ت. معارف السنن شرح جامع الترمذي. د. م. د. ن. ج. 3. ص. 311.

⁵⁴³ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. 1983 م. سنن الترمذي. بيروت: دار الفكر. كتاب الجنائز. باب ما جاء في الدفن بالليل. ج. 2. ص. 260. رقم الحديث 1063. درجة الحديث: ضعيف لكن موضع الشاهد منه حسن.

⁵⁴⁴ ابن القطان، علي بن محمد. 1997 م. بيان الوهم والإيهام الواقعي في كتاب الأحكام. الرياض: دار طيبة. ج. 3. ص. 423.

⁵⁴⁵ ابن حجر. تقريب التهذيب. ص. 159؛ الذهبي. تهذيب التهذيب. ج. 1. ص. 356.

⁵⁴⁶ ابن عدي. الكامل في ضعفاء الرجال. ج. 6. ص. 330.

⁵⁴⁷ الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل. 1986 م. التاريخ الصغير. بيروت: دار المعرفة. ج. 2. ص. 217.

⁵⁴⁸ الذهبي. تهذيب التهذيب. ج. 4. ص. 162.

⁵⁴⁹ ابن القطان، علي بن محمد. 1997 م. بيان الوهم والإيهام الواقعي في كتاب الأحكام. الرياض: دار طيبة. ج. 3. ص. 423.

⁵⁵⁰ ابن معين، يحيى. 1985 م. معرفة الرجال. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية. ص. 81.

وأخرج أبو داوود في سننه عن جابر بن عبد الله قال: "رأى ناس نارا في المقبرة فأتوها، فإذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في القبر وإذا هو يقول: "ناولوني صاحبكم" فإذا هو الرجل الذي كان يرفع صوته بالذكر"⁵⁵¹. فيه محمد بن مسلم صدوق يخطئ، ووثقه ابن معين وقال هو ويعقوب بن سفيان: "لا بأس به"⁵⁵². وله حديث في ترك وضوء مما مسته النار عند مسلم⁵⁵³. ذكره ابن حبان في الثقات وقال فيه أنه يخطئ⁵⁵⁴. قال ابن العربي: "إن هذه الرواية أقوى من الأولى"⁵⁵⁵، فهذا الحديث بهذه الطرق والرواية والاختلاف يحسن رجاله⁵⁵⁶.

قال الكاندهلوي: "دل قوله -صلى الله عليه وسلم-: "فأسرج له سراج" على أن النهي عن أخذ النار مع الميت هو النهي عن التشبه بالجاهلية والكفار، ولا منع عما فيه الضرورة"⁵⁵⁷. إلا أن ابن حجر قال: "صرح أصحابنا بحجة السراج على القبر وإن قل، حيث لم ينتفع به مقيم ولا زائر، وعللوه بالإسراف وإضاعة المال والتشبه بالجوس، فلا يعد في هذا أن يكون كبيرة"⁵⁵⁸. وفي رأي الباحثة على أن المصلحة تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة فقد كان إسراج المقبرة لم تدفعها الحاجة، حيث لا يحتاج إليه الناس زمن الإمام ابن حجر وكذا في زمن نبينا -صلى الله عليه وسلم-، لكن الظروف تختلف، حيث تطرق الحاجة إليه في العصور بعدها كعصرنا الآن؛ محافظة على الأمن بسد باب السرقة، ومنع المبتدعين والخرافيين من

⁵⁵¹ أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الجنائز. باب الدفن بالليل. #3162. كتاب التلخيص. كتاب الجنائز. باب الميت يدخله قبره الرجال. ج. 4. ص. 53.

⁵⁵² آبادي، محمد شمس الحق العظيم. د. ت. عون المعبود شرح سنن أبي داود. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ج. 8. ص. 349؛ ابن حجر. تقريب التهذيب. ص. 513؛ الذهبي. تهذيب التهذيب. ج. 3. ص. 696.

⁵⁵³ الذهبي. تهذيب التهذيب. ج. 3. ص. 696.

⁵⁵⁴ ابن حبان. الثقات. ج. 7. ص. 399.

⁵⁵⁵ ابن العربي. د. ت. عارضة الأخوذي شرح صحيح الترمذي. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 4. ص. 277.

⁵⁵⁶ حسين سعيد في تحقيقه على بيان الوهم والإيهام ج. 3. ص. 423.

⁵⁵⁷ الكاندهلوي، محمد يحيى بن محمد إسماعيل. د. ت. الكوكب الدرري على جامع الترمذي. الهند: مطبعة ندوة علماء الهند. ج. 2. ص. 199.

⁵⁵⁸ ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد. 1407 هـ. الزواجر عن اقتراف الكبائر. د. م: دار الفكر. ج. 1. ص. 134.

القيام بمنكراتهم. أما ادعاء التشبه فقد وضع العلماء ضوابط المشابهة، إذ ليس كل تشبه بالكفار محرماً، بل منه ما هو جائز، أو تقتضيه المصلحة في حال دون حال. وضوابط تحريم التشبه بالكفار، على النحو

الآتي⁵⁵⁹.

أولاً: لا تحصل حقيقة التشبه إلا بنية مصاحبة؛ وذلك أن التشبه فعل مُتَكَلَّفٌ لتحصيل مشابهة المتشبه به. قال الطحطاوي: "إن التشبه بأهل الكتاب لا يكره في كل شيء . . . إنما حرم التشبه فيما كان مذموماً أو فيما يقصد به التشبه"⁵⁶⁰.

ثانياً: كل ما يفعله غير المسلمين من العبادات ونحوها من شعار دينهم يمنع المسلمون من ذلك، وإن لم يقصدوا به؛ ساءل للذريعة وحسماً للمادة⁵⁶¹. فهذه القاعدة ذكرها ابن تيمية ومعناها: أن كل ما يتفق في الصورة الظاهرة مع ما يفعله الكفار في عبادتهم أو عاداتهم الخاصة فهو ممنوع، سواء قصد به التشبه أو لا. ثالثاً: أن يختص ويتميز به غير المسلمين أو يكون من شعارهم. لأن النصوص الشرعية التي جاءت في موضوع التشبه فيما يتعلق باللباس وغيره تقضي بأن التشبه إنما يقع فيما يختص به الكفار أو من شعارهم. فقد روي عن عدي بن حاتم أنه قال: أثبت النبي صلى الله عليه وسلم - وفي عنقي صليب من ذهب. فقال: "يا عدي اطرح عنك هذا الوثن"⁵⁶².

⁵⁵⁹ المطري، جميل بن حبيب. 1417 هـ. التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي. د. م. د. ن. ص. 72، 74، 80، 83، 87؛ الطواهي، وائل سلامة. د. ت. التشبه قواعده وضوابطه وبعض تطبيقاته المعاصرة. القاهرة: مطبعة كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف. ص. 7-8، 10، 14، 20-21، 24؛ الدالي، محمد بن موسى. د. ت. ضوابط التشبه المحرم في اللباس والزينة وتطبيقاته المعاصرة. د. م. د. ن. ص. 12-14.

⁵⁶⁰ الطحطاوي، أحمد بن محمد. د. ت. حاشية الطحطاوي على در المختار. د. م. د. ن. ج. 1. ص. 265.

⁵⁶¹ ابن تيمية، عبد الحليم بن عبد السلام. د. ت. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. الرياض: مكتبة الرشد. ج. 1. ص. 196 و242.

⁵⁶² الترمذي. 1983 م. سنن الترمذي. كتاب التفسير. باب ما جاء من سورة التوبة. ج. 4. ص. 341-342. رقم الحديث 5093. درجة الحديث: حسن. وسمي الصليب وثناً لأن النصارى تنصبه وتعبدوه فهو كالتمثال. (القرطبي. د. ت. تفسير القرطبي. ج. 7. ص. 108).

والضابط في كون فعل أو هيئة ما من شعار الكفار، هو أن ما كان من عباداتهم فهو خاص بهم حتى لو كان منتشرا بين المسلمين. وأما ما كان من عاداتهم، فكل ما عرفوا به دون غيرهم فهو من شعائهم بحيث يظن أن من فعله أنه منهم. ولهذا كان لباس النبي -صلى الله عليه وسلم- ولباس أصحابه بعد إسلامهم لم يغير، وذلك أن لباسهم كان لباس العرب جميعا من حيث كونهم عربا ولم يكن لباسهم من حيث كونهم كفارا أو مشركين، فلما لم يكن شعارا لأهل الكفر والشرك، لم يغير النبي -صلى الله عليه وسلم- زيّه ولا أزياء أصحابه.

فاذا أصبح ما اختص به غير المسلمين منتشرا عند المسلمين وغيرهم، بأن يكون عاما، أو لم يكن مختصا بهم، فلا يكره على المسلمين التباسه، ما لم يكن من شعار عبادات غير المسلمين. كالطبالسة، فيكره على المسلم لبسه في الوقت الذي تكون الطبالسة من شعار اليهود، أما إذا ارتفع ذلك فصار داخلا في عموم المباح⁵⁶³. فالزمان والمكان لهما أثر في تحديد كون الفعل تشبها أو لا⁵⁶⁴.

وكذلك أن ما زال عن كون غير المسلمين جاز فعله ما لم يكن محرما لعينه. قال ابن حجر: "وإن قلنا النهي عنها -أي عن المياثر الأرجوان- من أجل التشبه بالحاجم فهو لمصلحة دينية، لكن كان ذلك شعارهم حينئذ وهم كفار، ثم لما لم يصير الآن يخص بشعارهم، زال ذلك المعنى، فتزول الكراهة"⁵⁶⁵.

وأیضا فإن ما اخترعه الكفار وسبقوا إليه لم يكن محرما ولا يعتبر استخدامها تشبها وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم والنبي -صلى الله عليه وسلم- قبلهم يلبسون ثيابا من نسيج الكفار وأهل الكتاب.

⁵⁶³ ابن حجر العسقلاني. 1986 م. فتح الباري. ج. 10. ص. 286.

⁵⁶⁴ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. 1967. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. لا. مط. ج. 6. ص. 80.

⁵⁶⁵ ابن حجر العسقلاني. 1986 م. فتح الباري. ج. 10. ص. 320.

رابعاً: ألا يوجد حاجة أو ضرورة، فإن وجدت الحاجة أو الضرورة جاز⁵⁶⁶ التشبه؛ لأن تحريم أو كراهة التشبه كونه وسيلة إلى الحرام، وهو تولية غير المسلمين ومودتهم وكذلك لما يجز التشبه في بعض الأحيان إلى المعصية. ومثال على هذا، كلبس النبي -صلى الله عليه وسلم- النعال التي لها شعر، فإنها من لباس الرهبان إلا أن الحاجة تدعو إلى لبسه لما لا يمكن قطع المسافة البعيدة إلا بهذا النوع من النعال⁵⁶⁷.

الترجيح:

إسراج المقام لا يكون من التشبه بالكافرين حيث توجد الضرورة وتطرق الحاجة لإسراج المقام؛ إذ إنه لم يكن فيه التبذير ولا يقصد من إسراجه انتفاع الأموات بل هو لمصلحة الأحياء الزائرين، فهي مصلحة معتبرة عند الشارع فلا مانع منها. كما أن في إسراج مقابر الأولياء وقت الليل صيانة لها من فساد المفسدين كاللص والسارق والممارس السحر ومنع قيام الجهلاء بالخرافات، فيها يتحقق الأمن والسلامة. ونظير ذلك مقام رادين ماس في Telok Belangah الذي يكون مأوى لصاحب الاعتقادات الباطلة الذي يأتي إليه للقيام بأعمال الخرافات، كعبادة المقام وقراءة الطفوس عنده وغير ذلك. وقد حدث هذا قبل بناء السور على المقام، وإنارة الطريق المؤدية إلى المقام نفسه. فهذا الإسراج لتيسير حركة الزوار وتسهيل لرجال الأمن مراقبته عليه، ويسهل أيضاً على المجتمع القريين من المقام أن يراقبوه.

وهذا هو الغرض من إسراج ضريح الحبيب نوح البشني. ويدل على ذلك أن المصاييح عند ضريح الحبيب نوح تقفل عند إغلاق باب المقام⁵⁶⁸، وإذا كان الغرض تعظيم المقام أو لانتفاع صاحبه لشغلها

⁵⁶⁶ ابن القيم. 1989 م. زاد المعاد. ج. 2. ص. 242؛ ابن تيمية. اقتضاء الصراط المستقيم. ج. 1. ص. 244.

⁵⁶⁷ ابن عابدين. 2003 م. رد المحتار. ج. 2. ص. 384.

⁵⁶⁸ أي نهاية وقت الزيارة. فمن أراد أن يزور فعليه أن يقف خارج غرفة المقام. ووقت الزيارة التي حددتها أعضاء مسجد الحاج محمد صالح من التاسعة صباحاً إلى التاسعة مساءً، ما عدا عشر دقائق قبل وقت الصلوات المفروضة وبعدها.

وفتحها طوال الليل. فإشارة مقام الحبيب نوح الحبشي لا علاقة له بتعظيمه، بل للحفاظ عليه من أعمال الخرافات ولتحقيق الأمن كما يؤكد مراقبو المقام.

المطلب الثاني: حكم تعطير الضريح وتجميره.

لاحظت الباحثة أن بعض زوار ضريح الحبيب نوح يحملون معهم البخور ليضعوها في حجرة المقام أو خارجها، كما يحمل بعضهم الزهور ليضعوها على قبر الحبيب نوح. والذين يتولون شؤون المقام قد أعدوا مكانًا خاصًا لإيقاد البخور الواقع بجانب السلم الجنوبي، حوالي عشرة خطوات خارج حجرة المقام. وستتناول الباحثة في هذا المطلب حكم تعطير القبور وتجميرها وتختتم بحكم وضع الزهور عليها.

الفرع الأول: حكم تعطير القبور.

لم يرد من النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا أصحابه الكرام أنهم عطروا قبور من قد توفى منهم، سواء أكان من الشهداء أو القادة. والأموات لا ينتفعون بهذه الروائح الطيبة، بل بأعمالهم الصالحات، فصار التعطير داخلًا في باب من أبواب التهذيب وإضاعة المال المنهي عنه شرعًا. ورد نهي -عز وجل- عن هذه الصفة المذمومة في قوله تعالى: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرَنَّ بَيْدًا

﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾⁵⁶⁹.

وقد أفق الرملي أن جعل ماء الورد على القبور مكروه لإضاعة المال، وإنما لم يحرم لأنه يفعل لغرض صحيح من إكرام الميت، وإقبال الزوار عليه، لطيب ريح البقعة ولو قيل أنه حرام لم يبعد⁵⁷⁰، ثم أتى بقول السبكي الذي أجاز السير منه إن قصد به حضور الملائكة؛ لأنها تحب الرائحة الطيبة، ويكره أن يطلي

⁵⁶⁹ القرآن الكريم. سورة الإسراء: 26-27.

⁵⁷⁰ الرملي، محمد بن شهاب الدين. 2012 م. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ج. 3. ص. 53-54.

بالخلق أيضا⁵⁷¹. ثم إن منهم⁵⁷² من قاس تعطير القبور على تحمير الكفن، حيث إنه لما استحسب تحمير الكفن⁵⁷³ لتكريم الميت، فكذلك تعطير قبره. ورأت الباحثة أن هذا القياس قياس مع الفارق، حيث إن الغرض من تحمير الكفن لعبق الريح، وهذا منتف في القبور، خاصة بعدما طال زمنه.

إلا أن بعض العلماء أجازوا جعل الرائحة الطيبة عند القبر لأجل الزوار، إذ إن من فطرة الإنسان الميل والحب إلى أي رائحة طيبة. وثانيا، لكي تحيط الملائكة بالمكان والزوار لأن ملائكة الله - تعالى - يحبون الرائحة الطيبة، ويقتربون منها، كما يكرهون الرائحة الكريهة⁵⁷⁴ أو لإقبال الزوار عليه لطيب ريح البقعة خاصة إذا كان ذلك على أضرحة بعض الأولياء، بشرط ألا يجعل التعطير سواء كان من الزهور أو ماء الورد على متن الأضرحة، بل حوله أو قريب منه⁵⁷⁵، لأنه لو يوضع على القبر فالمقصود المتبادر في الذهن إنما ذلك لأجل صاحب ذلك القبر.

لأجل ذلك، رأت الباحثة أن تعطير القبور بقصد نفع الميت بدعة. وإن كان التعطير لأجل الزوار، بأن يجعل العطور خارج الحجرة أو أن التعطير لأجل تلاوة القرآن الكريم، فيجوز وينبغي أن يقتصد في ذلك. وتخريجنا على هذا، لم تر الباحثة وضع الزهور على القبور بحسوة بل كثيرا ما تنتن الزهور بعد ممر الأيام، فخرجت بسببها رائحة كريهة تزعج الزوار.

571 المصدر السابق.

572 أبو خير الحفيظ بن محمد شريف. المدرس. 7 فبراير 2016. مسجد الحاج محمد صالح. وجهة نظر المسلمين في تعطير القبر". (المقابلة الشخصية).

573 الخروشي، محمد بن عبد الله. 1997 م. حاشية الخروشي على مختصر سيدي خليل. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 2، ص. 341.

574 استثناء من ذلك خلوف فم الصائم لورود قوله - صلى الله عليه وسلم - الذي رواه المحدثون في كتبهم كالبخاري ومسلم في صحيحهما.

صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب الصوم. باب فضل الصوم. ج. 3: 24. #1894. وفي باب هل يقول إني صائم إذا شتم؟ ج. 3: 26. #1904. وفي صحيح مسلم له. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الصيام. باب فضل الصيام. ج. 2: 807. #1151.

575 الرملي، أحمد بن حمزة. 2012 م. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. ج. 3. ص. 53-54؛ الشيراملي، علي بن علي. 2012 م. حاشية الشيراملي على نهاية المحتاج. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ج. 3. ص. 54؛ البنتي، محمد بن عمر. 2005 م. نهاية الزين في إرشاد المتبتلين. بيروت: دار الفكر. ص. 140.

الفرع الثاني: حكم تجمير القبر.

ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار"⁵⁷⁶. قال الزرقاني:

"حسن هذا الحديث بعض الحفاظ لشواهد، حيث روي عن أبي هريرة وأبي موسى وعن أسماء بنت أبي بكر أنهم ينهون عن ذلك، فيكره اتباع الجنازة بنار في مجمرة أو غيرها؛ لأنه من شعار الجاهلية، ولما فيه من

التفاؤل⁵⁷⁷، فكره المجامر فيها البخور⁵⁷⁸. فكذا يكره أن يجعل على القبر شيء مما مسته النار تشاؤما

بألا تمسه النار⁵⁷⁹. وروي ابن أبي شيبة أنه مات ابن لزيد بن أرقم - رضي الله عنه - يقال له سويد، فاشترى

غلام له أم مجارية حصا أو أجرا فقال له زيد: "ما تريد إلى هذا؟" قال: "أريد أن أبني قبره وأجصصه"،

قال: "جفوت ولغوت، لا يقويه شيء مسته النار"⁵⁸⁰. ولأجل ذلك ترى الباحثة أن يبعد البخور من

حجرة المقام أمثالا لهذا الحديث. وروي مالك عن هشام عن أسماء أنها قالت لأهلها: "أجمروا ثيابي إذا

مت ثم حنطوني ولا تذكروا علي كفنني حنطا ولا تتبعوني بنار". وروي كذلك عن أبي هريرة - رضي الله عنه -

أنه نهي أن يتبع بعد موته بنار⁵⁸¹. ثم إن أبا موسى الأشعري قد نهي عنه كذلك فقد أورد الألباني في

تحذير الساجد: "أوصى أبو موسى حين حضره الموت فقال: 'إذا فطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي ولا

⁵⁷⁶ أبو داود. د. ت. سنن أبي داود. بيروت: دار الفكر. كتاب الجنائز. باب الموضع الميت. ج. 3. ص. 203. رقم الحديث 3171.

درجة الحديث: إسناده ضعيف لجهالة الرجل المدني وأبيه، وباب بن كثير الخطي في جملة أئمة، وأبو ابن شداد، ويعني: هو ابن أبي كثير. (انظر مسند الإمام أحمد له. ج. 16. ص. 512).

⁵⁷⁷ آبادي، أبي طيب محمد شمس الحق العظيم. د. ت. عون المعبود شرح سنن أبي داود. القاهرة: المكتبة الوافية. ج. 8. ص. 315. رقم الحديث 3171. درجة الحديث: ضعيف.

⁵⁷⁸ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. م. المغني. القاهرة: دار الحديث. ج. 3. ص. 235؛ الأمير، محمد بن محمد. 2011 م. الإكليل شرح مختصر خليل. القاهرة: دار الفضيلة. ج. 1. ص. 192.

⁵⁷⁹ المقدسي، أبي محمد ابن قدامة. 2004 م. الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل. القاهرة: دار العقيدة. ج. 1. ص. 332؛ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. 2004 م. المغني. ج. 3. ص. 274؛ السحيباني، عبد الله بن عمر. د. ت. أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية. 1436 هـ.

(http://www.dorar.net/lib/book_end/12376)

⁵⁸⁰ ابن أبي شيبة. 1409 هـ. مصنف ابن أبي شيبة. كمال يوسف الحوت. الرياض: مكتبة الرشد. كتاب الجنائز. في تخصيص القبر والأجر يجعل له. ج. 3. ص. 25. رقم الحديث 11765.

⁵⁸¹ مالك بن أنس. 2001 م. الموطأ. القاهرة: مكتبة الصفا. كتاب الجنائز. باب النهي عن أن تتبع الجنازة بنار. ص. 140. وقد صحح الألباني حديث أبي هريرة في أحكام الجنائز.

يتبعني مجمر ولا تجعلوا في لحدي شيئا يحول بيني وبين التراب ولا تجعلوا على قبري بناء وأشهدكم أنني بريء من كل حالقة أو سالقة أو خارقة"، قالوا: "أو سمعت فيها شيئا؟" قال: "نعم، من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"⁵⁸².

وقد منع العلماء من اتباع الجنائز بالنار تفاؤلاً، حيث إنَّها من آلة العذاب، وقال النخعي: "أكره أن يكون آخر زاده من الدنيا ناراً؛ ولأن هذا من فعل أهل الكتاب، فيكره التشبه بهم"⁵⁸³.

الفرع الثالث: حكم وضع الزهور على القبر.

اعتقد بعض زوار القبور عموماً أن وضع الزهور على القبر سينتفع الميت به، لكون الزهور بل كل شيء ذي رطوبة تذكر الله -تعالى-، فتدل به الرحمة، فيدخل الميت في ذلك، مستدلاً بما رواه الإمام البخاري⁵⁸⁴: "خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من بعض حيطان المدينة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال: "يعذبان وما يعذبان في كبير، وإنه لكبير، كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة"، ثم دعا بجريدة فكسرها بكسرتين أو ثنتين فجعل كسرة في قبر هذا وكسرة في قبر هذا، فقال: "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا". والمعنى يخفف عنيهما العذاب مدة عدم ييس العسيب"⁵⁸⁵.

وقد جاءت هذه الرواية بلفظ آخر، مما يدل على تعدد الواقعة كما رواها الإمام مسلم: "سرنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقضي

⁵⁸² ابن حبان. صحيح ابن حبان. كتاب الجنائز باب الزجر أن تخلق المرأة أو تسلق أو تخرق عند المصيبة فتحنن بها. ج. 7. ص. 421. رقم الحديث 3150؛ ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب الجنائز. باب الجنائز لا تؤخر إذا حضرت ولا تتبع بنار ج. 1. ص. 476. رقم الحديث 1487. إسناده حسن؛ لأن أبا حريز يختلف فيه. قال الألباني: "إسناده قوي".

⁵⁸³ السهارنفوري، خليل أحمد. د. ت. بذل المجهود في حل سنن أبي داود. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 14. ص. 139.
⁵⁸⁴ الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب الأدب. باب النعمة في الكبار. ج. 8: 17.

حاجته واتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم ير شيئا ليستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى إحدهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: "انقادي علي ياذن الله"، فانقادت معه كالبعير الميخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: "انقادي علي ياذن الله"، فانقادت معه كذلك حتى إذا كان النصف جمعهما فقال: "التئما علي ياذن الله"، فالتأمتا، قال جابر: "فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقربي، فيتشاعد فجلست فحانت مني لفظة، فإذا أنا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقبل، وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقف وقفه، فقال برأسه هكذا يمينا ويسارا ثم أقبل فلما انتهى إلي قال: "يا جابر هل رأيت مقامي؟ قلت: نعم يا رسول الله"، قال: "فانطلق إلى الشجرتين، فاقطع من كل واحدة منهما غصنا، فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي أرسل غصنا عن يمينك وغصنا عن يسارك"، قال جابر: "فأخذت حجرا فكسرتُه فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنا ثم أقبلت أجرحهما حتى إذا قمت مقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسلت غصنا عن يميني وغصنا عن يساري ثم لحقته فقلت: "قد فعلت يا رسول الله فعم ذلك؟" فقال: "إني مررت بقرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرقه عنهما ما دام الغصنان رطبين" 586.

وقد قيل: "إن المعنى فيه أنه يسبح ما دام رطبا فيحصل التخليف ببركة الصبيح، قالوا في قوله

تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ 587 معناه وإن من شيء حي، وحياة كل شيء بحمده، فحياة

586 الإمام مسلم. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الزهد والرقائق. باب حديث جابر الطويل. ج. 4: 2306. #3012؛ ابن حبان. صحيح ابن حبان. كتاب التاريخ. باب المعجزات. ج. 14. ص. 455. رقم الحديث 6524.

587 القرآن الكريم. سورة الإسراء 17: 44.

الخشب ما لم ييبس والحجر ما لم يقطع⁵⁸⁸. وعلى هذا فيطرد في كل ما فيه رطوبة من الأشجار وغيرها، وكذلك فيما فيه بركة كالذكر وتلاوة القرآن من باب أولى⁵⁸⁹. ثم إن بريدة الأسلمي الصحابي قد أوصى⁵⁹⁰ بوضع الجريدتين في قبره تأسيا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وتبركا بفعله⁵⁹¹، فقد رأى بريدة أن ذلك لم يكن خاصا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وقيل إنه خص الجريد لأنه بطيء الجفاف⁵⁹². وظاهر الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسند التخفيف وعلقه على رطوبة الجريدة، فكانت سببا في ذلك أي التخفيف، ولا يعدل عن هذا الظاهر إلا بالدليل.

وقد استنكر الخطابي ومن تبعه وضع الناس الجريد ونحوه في القبر عملا بهذا الحديث قال الطرطوشي: "لأن ذلك خاص ببركة يده"، وقل القاضي عياض: "لأنه علل غرزها على القبر بأمر مغيب وهو قوله: "ليعذبان"⁵⁹³. قال الخطابي أيضا: "هو محمول على أنه دعا لهما بالتخفيف مدة بقاء النداء، لا أن في الجريدة معنى يخصه، ولا أن في الرطب معنى ليس في اليابس، ويؤيد هذا ما رواه مسلم من حديث جابر في صاحبي القبرين: "فأجيت شفاعتي أن يرفع ذلك عنهما ما دام العودان رطبين"⁵⁹⁴.

- 588 السبكي. د. ت. المنهل العذب. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي. ج. 1، ص. 81، 216؛ العيني، أبو محمد محمود بن أحمد. 1999 م. شرح سنن أبي داود. خالد بن إبراهيم. الرياض: مكتبة الصالحين. ج. 1، ص. 85.
- 589 السهارنفوري، خليل أحمد. د. ت. بذل المجهود في حل أبي داود. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 1، ص. 55؛ ابن حجر العسقلاني. 1986 م. فتح الباري. ج. 1، ص. 382.
- 590 الإمام البخاري. 1422 هـ. صحيح البخاري. محمد زهير بن ناصر المنصور. كتاب الجنائز. باب الجريدة على القبر. ج. 2، ص. 95.
- 591 ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف. 1423 هـ. شرح صحيح البخاري. أبو محمد يونس بن إبراهيم. الطبعة الثانية. الرياض: مكتبة الرشد. أبواب تقصير الصلاة. باب الجريدة على القبر. ج. 3، ص. 347؛ النووي. 1392 هـ. شرح النووي على مسلم. الطبعة الثانية. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. 3، ص. 202؛ ابن حجر العسقلاني. 1379 هـ. فتح الباري. ج. 3، ص. 223.
- 592 ابن حجر العسقلاني. 1379 هـ. فتح الباري. محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون. بيروت: دار المعرفة. ج. 1، ص. 319.
- 593 السهارنفوري، خليل أحمد. د. ت. بذل المجهود في حل سنن أبي داود. ج. 1، ص. 55؛ الإنبوي، محمد بن علي. 1416 هـ. ذخيرة العقبى في شرح المجتبي. د. م. دار المعراج الدولية ودار آل بروم. كتاب الطهارة. التنزه عن البول. ج. 1، ص. 514؛ ابن حجر العسقلاني. 1379 هـ. فتح الباري. محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون. بيروت: دار المعرفة. ج. 1، ص. 320.
- 594 العظيم آبادي، محمد شمس الحق. 1414 هـ. غاية المقصود في شرح سنن أبي داود. باكستان: حديث أكاديمي نشاط آباد. ج. 1، ص. 140؛ الخطابي، أحمد بن محمد. د. ت. معالم السنن. حلب: مطبعة محمد راغب الطباخ. ج. 1، ص. 19؛ الإنبوي، محمد بن علي. 1416 هـ. ذخيرة العقبى في شرح المجتبي. د. م. دار المعراج الدولية ودار آل بروم. كتاب الطهارة. التنزه عن البول. ج. 1، ص. 514؛ ابن

وأما بالنسبة للآية، فقد ذهب المحققون إلى أن الآية على عمومها، أي أن الرطب واليابس يذكرون الله - تعالى - على حالهم الذي يعلمه الله - تعالى -، وعلى هذا فليس التقييد بالرطب لمعنى يخصه ليس في اليايس، بل التخفيف لأجل دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، فكانه جعل مدة بقاء النداءة فيهما حدا لما وقع له الدعاء من تخفيف العذاب عنهما⁵⁹⁵. ذكر الشنقطي أن القائل بأن الميت ينتفع بتسبيح الرطب ضعيف، إذ إن التسبيح لا يختص به، بل لليابس كذلك على وجه الله أعلم به⁵⁹⁶. والصحيح أنه - صلى الله عليه وسلم - شفع لهذين المقبورين فخفف الله عنهما وجعل مدة التخفيف عليهما تنتهي ببس الجريدتين⁵⁹⁷. قال الطبري الحكمة من كونهما ما دامتا رطبتين تمنعان العذاب، يحتمل أن يكون غير معلومة لنا كعدد الزبانية⁵⁹⁸.

وما روي عن يزيد فهو فعل الصحابي فيما فيه مجال للرأي، ولم يصح ذلك عن أحد منهم غيره، وقد تقرر أن فعل الصحابي فيما فيه مجال للرأي لا يعطى حكم الرفع، وهذا من قبيل ذلك⁵⁹⁹. وهذا ما أخذه البخاري أي أن ذلك خاص بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، لذا تعقب بحديث ابن عمر "إنما يظله عمله"⁶⁰⁰.

ثم لم يثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - فعل هذا الوضع على قبر أحد غير هذين، فدل ذلك على أنها واقعة حال خاصة وشفاعة خاصة وليست سنة عامة. فدل على ذلك أنه لم يثبت مثل هذا عن

حجر العسقلاني. 1379 هـ. فتح الباري. محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون. بيروت: دار المعرفة. ج. 1. ص. 319. (تأجيت بشفاعتي أن يرفع عنهما ما دام الغصنان رطبين) وذكره النووي. 1392 هـ. شرح النووي على مسلم. الطبعة الثانية. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. 3. ص. 202.

⁵⁹⁵ العيني، محمود بن أحمد. 1999. شرح سنن أبي داود. خالد بن إبراهيم. ج. 1. ص. 85.

⁵⁹⁶ الشنقطي، محمد المختار بن محمد. 1425 هـ. شرح سنن النسائي. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية. ج. 1. ص. 179.

⁵⁹⁷ المصدر السابق. ص. 180.

⁵⁹⁸ العسقلاني، ابن حجر. 1379 هـ. فتح الباري. محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون. بيروت: دار المعرفة. ج. 1. ص. 320.

⁵⁹⁹ الشنقطي، محمد المختار بن محمد. 1425 هـ. شرح سنن النسائي. ج. 1. ص. 180.

⁶⁰⁰ العسقلاني، ابن حجر. 1379 هـ. فتح الباري. محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون. بيروت: دار المعرفة. ج. 3. ص. 223.

الصحابه، لا سيما الخلفاء الراشدين، ولو كان مسنوناً ما تركه أولئك الأئمة. وأنه من باب التبرك بأثر النبي -صلى الله عليه وسلم-⁶⁰¹.

الاعتراض: إن هذه الواقعة تعددت إلى ثلاثة روايات أن النبي -صلى الله عليه وسلم- فعل ذلك بقبر أصحابه⁶⁰². ثم إن التأويل أن التخفيف عن العذاب حصل لأجل دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-

أو شفاعته أو ببركته بعيد لقوله "لعله" ولو كان كذلك لما احتاج إلى الترجي⁶⁰³.

الجواب: إن ذلك تواضعاً منه -صلى الله عليه وسلم- أو كان كل الترجي منه وقوعه حتماً، كما قال ابن عباس: "كل عسى في القرآن واجبة"، وقال أبو حيان: عسى من الله واجبة حيثما وقعت في القرآن⁶⁰⁴.

وأيضاً أن وضع العسيب أو الجريد فرع من علم تعذيب أهل القبر، وهذا خاص بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، أو بمن فتح الله عليه من أحوال الميت، وليس لكل مسلم، ثم أن بعض زوار الضريح يقطعون بدخول صاحب المقام الجنة، فوضعهم الزهور باعتقاد تخفيف العذاب متناقض بنجاة الحبيب نوح الحبشي. الاعتراض: قال صاحب بذل المجهود: "لا يلزم من كوننا لا نعلم أيعذب أم لا أن لا نتسبب له في أمر يخفف عنه العذاب أن لو عذب، كما لا يمنع كوننا لا ندري أرحم أم لا أن ندعو له بالرحمة. وليس في

⁶⁰¹ الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد. 1351 هـ. معالم السنن. حلب: المطبعة العلمية. كتاب الطهارة. ج. 1. ص. 19؛ الشنقيطي، محمد المختار بن محمد. 1425 هـ. شرح سنن النسائي. ج. 1. ص. 179؛ الإتيوبي، محمد بن علي. 1416 هـ. ذخيرة العقبى في شرح المجتبي. د. م: دار المعراج الدولية ودار آل بروم. كتاب الطهارة. التنزه عن البول. ج. 1. ص. 515.

⁶⁰² الإتيوبي، محمد بن علي. 1416 هـ. ذخيرة العقبى في شرح المجتبي. كتاب الطهارة. التنزه عن البول. ج. 1. ص. 515.

⁶⁰³ العسقلاني، ابن حجر. 1379 هـ. فتح الباري. محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون. ج. 1. ص. 319.

⁶⁰⁴ ابن كثير. 1981 م. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الأندلس. ج. 3. ص. 371؛ الصابوني، محمد علي. 1437 هـ. صفوة التفاسير. القاهرة: دار الصابوني. ج. 1. ص. 488. وج. 2. ص. 141. وج. 2. ص. 158. وج. 3. ص. 387.

السياق ما يقطع أنه باشر الوضع بيده الكريمة، بل يحتمل أن يكون أمر به، وقد تأسى بريدة بن الحصيب الصحابي بذلك، فأوصى أن يوضع على قبره جريدتان، وهو أولى أن يتبع من غيره⁶⁰⁵.

الجواب: إن الدعاء أمرنا به سواء كنا اطلعنا على العذاب أم لا، وأيضا أن الدعاء ندبنا به لكل ميت. بخلاف وضع الجريدة، فكانت معللة بالتعذيب، ولم يقم به -صلى الله عليه وسلم- إلا لأشخاص معينين⁶⁰⁶. ثم سياق الحديث صريح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الذي باشر الشق والوضع.

الترجيح:

في الحقيقة أن القول بمنع وضع الزهور على المقابر مبني على أساس أن فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- بوضع الجريدة على القبر مخصوص به دون غيره من أمته -صلى الله عليه وسلم-. ومما يدل على ذلك التخصيص، عدم قيام الصحابة به بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم-. والحقيقة أن العلماء لم يتفقوا على حجية قول أو فعل الصحابي، بل ذهب الجمهور إلى أن قول الصحابي لم يكن حجة حتى أوردوه في قسم الدليل المردود. ثم الذين ذهبوا إلى أن قول الصحابي حجة يختلفون فيما بينهم هل يخص به عموم السنة أو القرآن أم لا؟ لأن الصحابة لم يكونوا معصومين⁶⁰⁷.

وأيضاً إن ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما يقتضي به أمته إلا إذا دل دليل صريح على أن هذا الفعل مخصوص به⁶⁰⁸ كقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁶⁰⁹ أو كحديث

⁶⁰⁵ السهارنفوري. د. ت. بذل المجهود في حل أبي داود. ج. 1. ص. 55؛ الإثيوبي، محمد بن علي. 1416 هـ. ذخيرة العقبى في شرح المحتجى. كتاب الطهارة. التنزه عن البول. ج. 1. ص. 514؛ العسقلاني، ابن حجر. 1379 هـ. فتح الباري. محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون. ج. 1. ص. 320.

⁶⁰⁶ الإثيوبي، محمد بن علي. 1416 هـ. ذخيرة العقبى في شرح المحتجى. كتاب الطهارة. التنزه عن البول. ج. 1. ص. 515.

⁶⁰⁷ الإسني، عبد الرحيم بن حسن. 1999. نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول. بيروت: دار ابن حزم. ج: 2. ص: 951.

⁶⁰⁸ عوامة، محمد. 2013. حجية أفعال رسول الله أصولها وحديثها. لبنان: دار المنهاج. ص: 91.

⁶⁰⁹ القرآن الكريم. سورة الأحزاب 33: 50.

صوم الوصال وغيرهما. ولم يَقم أي دليل على أن وضع الزهور من خصوصية النبي -صلى الله عليه وسلم-، كأن قال "لا تضع الزهور" أو "إنما هو مخصوص بي دونكم". وإن قيل إن لفظ الحديث من رواية مسلم "فأرجو بشفاعتي" دل على هذا التخصيص، لكن هناك رواية أخرى علق النبي -صلى الله عليه وسلم- التخفيف على رطوبة الجريد، فقد أورد الطيالسي: "إنه يهون عليهما ما دام فيهما من بلولتهما شيء"⁶¹⁰، فعمل بمذنبين اللفظين أول من إهمال أحدهما إن أمكن الجمع، فلا مانع من كون التخفيف لأجل دعائه ورطوبته معا.

ثم إن الناظر في الحديث يعلم أن فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا معلول على علم بأن صاحب القبر هذا يعذب، فوضع الجريد إنما لأجل تخفيف العذاب. فزوار الحبيب نوح لم يضعوا الزهور بهذا الاعتقاد أي أن صاحب القبر قد يعذب في قبره، وإنما فعله لأجل الاحترام والتقدير والحب، وهذا الاعتقاد مجرد عن الدليل. ثم إن الزهور قد يبتن بعد يومين، فتخرج منها رائحة كريهة، يتأذى بها آخرون، بل الميت نفسه، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد منع من أن يبذل الناس على القبر أو يرمى فيه القمامة لأن فيه معنى الإيذاء للميت.

تري الباحثة أن هذه الزهور يوضع لينتشر بها الأريج، فيجعلها خارج ضريح الحبيب نوح. وأن هذا الفعل قد خرج من إطار التشبه المنهي عنه، فوضع الزهور لم يكن من تعاليم أو شعائر غير المسلمين بل هو عادة لهم عند زيارتهم المقابر. ثم هذه العادة لم تكن مختصة بهم في هذا العصر حتى عرفوا به دون غيرهم. فهذه العادة قد انتشرت بين المسلمين. وأن غير المسلمين لم يأتوا بالزهور عند زيارتهم للحبيب نوح، بل قام به المسلمون في وضعها.

⁶¹⁰ الطيالسي، سليمان بن داود. 1999 م. مسند أبي داود الطيالسي. جيزة: مكتبة هجر. ج. 2. ص. 198. رقم الحديث 908. درجة الحديث: ضعيف. فيه بحر بن مرار وقد اختلط (الإمام البخاري. د. ت. التاريخ الكبير. ج. 2. ص. 126).

المطلب الثالث: حكم كسوة الضريح وتقبيله.

يكسى الضريح ببعض الأقمشة التي يضعها مدبرو مسجد الحاج محمد صالح؛ ولم تغبر في وقت قريب، بل لأكثر من سنة، حيث يبقونها على حالها ما لم تأكلها الخراب والآفات.

الفرع الأول: حكم كسوة الضريح.

يضرب حول ضريح الحبيب نوح الحبشي ستار من قطن أخضر. وقد غُيّر هذا الستار لأكثر من ست سنوات ماضية، وكان لونه أصفر. وقد عثرت الباحثة على الاتجاهين حول وضع الستائر أو الكسوة على الضريح. الاتجاه الأول: وضع الستور على الضريح أو حوله للتقدير والاحترام، لما يوجب تقديره واحترامه في الدين. قياساً على إكساء الكعبة المعظمة والذي يقصد من وراءه تعظيم وتكريم واحترام ما يوجب تعظيمه وتكريمه واحترامه في الدين. وعلى هذا القصد قام أمير المؤمنين عثمان بن عفان بإكساء المنبر النبوي وهو أول من كساه، وكان من قبطية وهو ثوب أبيض من ثياب مصر⁶¹¹. ويدعى أيضاً أن عمر بن عبد العزيز قام بإكساء على مقام النبي⁶¹² - صلى الله عليه وسلم - بقبطية؛ لنفس المعنى المذكور. ثم قام المسلمون من بعده بإكساء الحجرة الشريفة والمنبر النبوي. وكذلك ما حدث بحجر إسماعيل⁶¹³. وما يدل على ذلك أن القاسم بن محمد بن أبي بكر⁶¹⁴ طلب من عائشة كسفت قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - له⁶¹⁵.

⁶¹¹ السمهودي، علي بن أحمد. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 2. ص. 10. (وتيل: أن أول من كساه معاوية حين أراد أن يحول المنبر إلى الشام فكسفت الشمس يومئذ فاعتذر ثم خشيت عليه الأرض فكساه قبطية).

⁶¹² كردتي، عبيد الله محمد أمين. 1419 هـ. الكعبة المعظمة والحرمات الشريفات عمارة وتاريخاً. السعودية: مجموعة بن لادن. ص. 258.

⁶¹³ الكردتي، محمد طاهر. 2000 م. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم. بيروت: دار خضر. ج. 1. ص. 578.

⁶¹⁴ هو من التابعين. وأمه أم ولد يقال لها سودة فولد القاسم بن محمد عبد الرحمن وأم فروة وهي أم جعفر بن محمد بن علي بن حسين ابن علي بن أبي طالب وأم حكيم بنت القاسم وعبد وأمههم قرية بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. (المرجع: ابن سعد، أبو عبد الله محمد ابن سعد. 1410 هـ. الطبقات الكبرى. محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 5. ص. 142).

⁶¹⁵ القسطلاني، أحمد بن محمد. 1991 م. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. بيروت: المكتب الإسلامي. ج. 4. ص. 564؛ أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث. د.ت. سنن أبي داود. بيروت: دار الفكر. كتاب الجنائز. باب في تسوية القبور. ج. 3. ص. 215. رقم الحديث 3220؛ الحاكم، محمد بن عبد الله. 1340 هـ. المستدرك على الصحيحين. حيدر آباد: دائرة المعارف. كتاب الجنائز. ج. 1.

فهذا يدل على أن قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مستورًا؛ لأن القاسم بن محمد طلب كشف قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أي رفع الستارة⁶¹⁶ أو كان مستورًا بغير ستارة، وأنه من قبل التقدير والاحترام اللائق بمقام من قد عظمه الشارع. فما ذكر بخصوص كسوة الكعبة والحجرة الشريفة والمنبر الشريف وحجر إسماعيل يقصده به تعظيم ما هو معظم في الدين، وعليه تصح مسألة ستائر قبور الصالحين لما فيه من تقدير واحترام قبورهم.

الاتجاه الثاني: صيانة للمقام وحفظ له من أن يعتدى عليه بأخذ تربته أو كسر حجره وغير ذلك لا لتعظيم صاحب القبر. ولهذا الستار وظيفة أخرى وهي تذكير الزائرين أن الله - تعالى - متفرد في ألوهيته لا يشارك في ذلك أحد، لذا كثيرا ما يكتب على هذا الستار آيات القرآن كآية الكرسي وسورة الاخلاص والمعوذتين وآية أخرى تدل على أن الله واحد.

ويؤيد هذا الاتجاه، أن لو كانت الكسوة لتعظيم أصحاب القبور لغيره في كل سنة، لكن الأمر لم يكن كذلك، فكسوة مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - أو حجرته الشريفة لم تجدد في كل سنة، كما جرى ذلك على مقام الحبيب نوح الحبشي. ثم إنه لو كان للتعظيم لجعله من أفخر أنواع القماش كالحرير والديباج وما أشبههما من أنواع القماش الثمين، لكن الكسوة من نوع القطن ومن جنس القماش الرخيص. وما فعله عمر بن عبد العزيز من جعل القباطي على مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن ليعظمه، بل لحفظه من الاندثار، وكذلك ما فعله عثمان بن عفان بالمنبر؛ لصونه من التآكل.

ص. 369؛ ابن حجر، أحمد بن علي. هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاحب والمشكاة. الدمام: دار ابن عفان. ج. 2. ص. 221. رقم الحديث 1653. والحديث ضعيف لأجل عمرو بن عثمان فإنه مستور الحال. (ابن حجر. تقريب التهذيب. ص. 424).
⁶¹⁶ آبادي، أبي طيب محمد شمس الحق العظيم. د. ت. عون المعبود شرح سنن أبي داود. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ج. 5. ص. 28.

الترجيح:

إكساء الضريح بالستارة أو كسوته لم يثبت عن النبي صلى الله عليه ولا صحابته الكرام -رضوان الله عليهم-، إلا أن الذين جاءوا بعدهم قاموا بهذا الفعل ليس من أجل إحداث ما لم يكن في الدين أو يتبدع شيئاً جديداً بل لحفظ وصيانة المقام من الفساد. ويستطيع أن يلاحظ هذا في فعل عمر بن عبد العزيز، حينما كسى مقام النبي -صلى الله عليه وسلم- قماشاً؛ خوفاً من اندراسه.

فالباحثة ترى أن كسوة الضريح إنما لصيانتة من الفساد والخراب، وليس من أجل جعل المقام صنماً كما هو متبادر في ذهن من يعارض ويمنع كسوة الضريح. وعلى هذا المنطلق أيضاً يجري إكساء ضريح الحبيب نوح الحبشي⁶¹⁷ في سنغافورة.

الفرع الثاني: حكم تقبيل الضريح والتمسح به.

بعض من يزور ضريح الحبيب نوح الحبشي، يتمسح بقبوره ويقبلونه، أو يتمسح قبره بكفه، ثم قبل كفه. فلنعرف ما للعلماء من أقوال على مثل هذا المنظر والسلقة، وستناول الباحثة مناقشة هذه المسألة ببيان أنواع التقبيل الموجودة في الأحاديث الشريفة، وهي كما يلي: تقبيل النبي -صلى الله عليه وسلم- لغيره وذلك يمثل في حديث عن أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: "ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة -رضي الله عنها- برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان إذا دخلت عليه رحب بها، وقام إليها فأخذ بيدها، وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكانت هي إذا دخل عليها قامت إليه مستقبلة وقبلت يده"⁶¹⁸. وتقبيل الصحابة -رضي الله عنهم- له -صلى الله عليه وسلم-: حدثت أم أبيك بنت الوازع بن زارع، عن جدها، زارع وكان في وفد عبد القيس قال: "لما قدمنا المدينة، فجعلنا نتبادر من رواحلتنا، فتقبل

⁶¹⁷ والكسوة الموجودة عند ضريح الحبيب نوح الحبشي عبارة عن كسوة خضراء مستطيلة متوسطة في حجمها، حيث توضع وسط متن ضريحه، ويوضع عليها البلاستيك يساوي مقياس الكسوة، لصون القماش من القذارات والأوساخ.

⁶¹⁸ أبو داود. د. ت. سنن أبي داود. محمد محيي الدين عبد الحميد. أبواب النوم. باب ما جاء في القيام. ج. 4. ص. 355. رقم الحديث 5217. درجة الحديث: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

يد النبي -صلى الله عليه وسلم- ورجله . . .⁶¹⁹. ومثال لنوع آخر من التقبيل كتقبيله -صلى الله عليه وسلم- لغيره تأييداً وتشجيعاً، وتقبيله صلى الله عليه وسلم لغيره رضاً وسروراً، وتقبيله -صلى الله عليه وسلم- وداعاً للميت، كما ذكر ذلك في إعلام النبيل للغماري.

الترجيح:

ترى الباحثة أن التقبيل هناك ما هو شرعي، كتقبيل الحجر الأسود، وهناك ما لأجل المحبة والوداد، كما ذكرت آنفاً في الفقرة الماضية، فمن قبل قبراً باعتقاد تعظيم صاحبه، أو للحصول على القوة المخصوصة من ذلك القبيل، أو تصنعاً في إبداء المحبة لساكن القبر، أو تنبهاً عمياً بفعل العوام، أو يعتقد أن التقبيل من مستلزمات أو سنن الزيارة، فاعتقاده باطل، وفعله غير جائز باتاً. أما الذي يقبل لعدم امتلاك نفسه، فهو معذور لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل"⁶²⁰.

المبحث الثالث:

حكم الأدعية التي يقوم بها الزوار عند ضريح الحبيب نوح.

من الأفعال التي يقوم بها زوار الحبيب نوح الحبشي يوماً عند مقامه هي قراءة الدعاء لصاحب القبر، وهي إما مجردة أو مقترنة بتحية السلام، فالمسلمون لا يختلفون في حكم الدعاء للميت المسلم؛ لأن الأدلة متواترة في القرآن والأحاديث أنه -صلى الله عليه وسلم- دعا لأَمْوات المسلمين من أصحابه، وكذا صلاة الجنازة تدل أيضاً على سنية الدعاء لموتى المسلمين.

⁶¹⁹ أبواب النوم. باب في قبلة الرجل. ج. 4. ص. 357. رقم الحديث 5225. درجة الحديث: حسن دون ذكر الرجلين.

⁶²⁰ أحمد بن حنبل. 1421 هـ. مسند أحمد بن حنبل. شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون. ج. 41. ص. 224. رقم الحديث

المطلب الأول: الوسيلة والتوسل.

التوسل لغة: من وسل وتطلق على: المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة. قال الجوهري: الوسيلة

هي ما يتقرب به إلى الغير. والواصل: الراغب إلى الله -تعالى-، ووسل فلان إلى الله إذا عمل عملاً تقرب به إليه. وتوسل إليه بكذا: تقرب إليه بحزمة آصرة تعطفه عليه. وجمعها الوسائل. وقيل: هي ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به⁶²¹.

واصطلاحاً: قال الرازي: المراد من طلب الوسيلة إلى الله -تعالى- هي، تحصيل مرضاته بالعبادات

والطاعات⁶²².

يظهر من هذا التعريف، أنه لا يوجد فرق كبير بين معنى التوسل اللغوي والاصطلاحي، فإنها توحى بما تقرب إلى الله -تعالى-، وتحصيل مرضاته بها. ويلاحظ أيضاً أن كلمة "ما" تفيد عموم القربة والطاعة المطلوبة في التوسل، يجوز أن يكون من جنس العمل البدني كالصلاة والصيام، وبر الوالدين، وزيارة الأقارب، وتلاوة القرآن الكريم والذكر، ويجوز كذلك أن يكون من العمل القلبي كالإيمان بالله -تعالى-، والبغض في الله -تعالى-، وحب الله ورسوله، وحب من يحب الله ويحبه الله -تعالى-.

تحرير محل النزاع: قبل أن تناقش الباحثة حول موضوع التوسل بأصحاب القبور من الصالحين، والاستشفاع بهم، ستذكر أولاً محل الاتفاق بين المسلمين على مختلف مذاهبهم، كما ذكر العلامة سيد محمد العلوي في كتابه المفاهيم⁶²³. فالأشياء التي ستذكرها الباحثة تكون محل الاتفاق بين المسلمين، وهي كما تلي:

⁶²¹ الحسيني، محمد بن محمد بن عبد الرزاق. 2012 م. تاج العروس من جواهر القاموس. د. م: دار الهداية. ج. 31. ص. 75. ابن منظور. د. ت. لسان العرب. القاهرة: دار المعارف. ص. 4837. مادة: وس-ل.

⁶²² فخر الرازي. 2001 م. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي. ج. 11. ص. 349.

⁶²³ الحسني المالكي، محمد علوي. د. ت. مفاهيم يجب أن تصحح. القاهرة: دار جوامع الكلم. ص. 59.

1- أن التوسل هو إحدى طرق الدعاء، وباب من أبواب التوجه إلى الله -تعالى-، فالمقصود الأصلي والحقيقي هو الله -تعالى-، والمتوسل به إنما هو وسيلة للتقرب إلى الله -تعالى-، ومن اعتقد غير ذلك فقد أشرك.

2- أن المتوسل لو اعتقد أن من أو ما توسل به إلى الله -تعالى- ينفعه ويضره بنفسه مثل الله أو دونه فقد أشرك.

3- أن التوسل ليس أمراً لازماً أو ضرورياً، وليست الإجابة متوقفة عليه.

4- أن المتوسل ما توسل بمجده الوسيلة إلا لحيته لها، ويكون دليل على ذلك أن يعمل كعمله، ويحسن كإحسانه وأيضاً يعتقد أن الله -تعالى- يحبها بما قام من القربات والطاعات. وإن ظهر خلاف ذلك لكان أبعد الناس عنها، وأشد الناس كراهة لها.

المتفق عليه من التوسل والمختلف فيه:

لم يختلف أحد من المسلمين على جواز التوسل إلى الله -تعالى- بالأعمال الصالحة، والتوسل بالأعمال معناه؛ التسبب بها لحصول المقصود⁶²⁴ فمن صام أو صلى أو تصدق أو ذكر الله، فإنه يتوسل بصيامه وصلاته وصدقته وذكره، بل هو أرجى في القبول وأعظم في قيل المطلوب والدليل على هذا حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، فتوسل بأعمالهم الصالحات⁶²⁵، فهذا النوع من التوسل قد فصله وبين أدلته ابن تيمية في كتبه، خصوصاً في رسالته بعنوان: قاعدة جلية في التوسل والوسيلة⁶²⁶.

⁶²⁴ الآلوسي. 1415 هـ. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 3. ص. 297.

⁶²⁵ الإمام مسلم. د. ت. صحيح مسلم. محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الرقاق. باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل. ج. 4.

2099. #2743.

⁶²⁶ ابن تيمية. 1999 م. قاعدة جلية في التوسل والوسيلة. عبد القادر الأرناؤوط. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

أما الذي يختلف فيه الأمة، هو التوسل بغير عمل المتوسل، كالتوسل بالذوات والأشخاص وغير ذلك. وستخصص الباحثة من هذه الأنواع للتوسل، التوسل بأصحاب القبور من الصالحين، حيث إن بعض زوار الحبيب نوح الحبشي يتوسلون إلى الله -تعالى- به.

مناقشة التوسل بمن قد توفي:

إن التوسل بمن قد توفي من قبل التوسل بالأشخاص، وقد اختلف العلماء فيه:

المذهب الأول: إن هذا النوع من التوسل لا يجوز، بل يمتنع. ويستدلون:

1- حديث "إذا سألت فاسأل الله"⁶²⁷. أن ابن عباس قال: كنت ردف النبي -صلى الله عليه

وسلم- فقال لي: "يا غلام، إني محدثك حديثاً، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك،

إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد رفعت الأقاليم، وجفت الكتب، فلو

جاءت الأمة ينفعونك بشيء لم يكتبه الله -عز وجل- لك، لما استطاعت، ولو أرادت أن

تضرك بشيء لم يكتبه الله لك، ما استطاعت"⁶²⁸.

الاعتراض: أراد من هذا الحديث، النهي عن العجلة عن أن ما كان من الخير على يد الأسباب

فهو من الله -تعالى- والأمر والانتباه إلى أن ما كان من نعمة على يد المخلوقات فهو من

الله وبالله، فيكون المراد: إذا أردت الاستعانة بأحد من المخلوقين ولا بد لك فاجعل كل

اعتمادك على الله -تعالى- وحده ولا تحجبك الأسباب عن رؤية المسبب جل جلاله⁶²⁹.

⁶²⁷ ابن تيمية. 1419 هـ. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ناصر عبد الكريم العقل. الطبعة السابعة. ج 2. ص.

367. ابن تيمية. 1408 هـ. الفتاوى الكبرى. ج 5. ص. 217.

⁶²⁸ أحمد بن حنبل. 1421 هـ. مسند أحمد. شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج 4. ص. 488. رقم الحديث 2763. درجة الحديث: حديث صحيح، ابن لهيعة واسمه عبد الله، وإن كان في حفظه شيء وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح غير قيس بن الحجاج، فقد

روى له الترمذي وابن ماجه، وهو صدوق. يحيى بن إسحاق: هو السليحي.

⁶²⁹ الحسيني المالكي، محمد علوي. د. ت. مفاهيم يجب أن تصحح. ص. 120.

وقد أوماً هذا الحديث نفسه إلى هذا المعنى، وذلك في قوله - صلى الله عليه وسلم -

عقب هذه الجملة: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا

بشيء قد كتبه الله عليك" فأثبت لهم وأسند إلى فعلهم الضر، لكن بما أذن الله - تعالى - على

العبد. وقد أمر في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾⁶³⁰، وحكى - تبارك

وتعالى - عن ذي القرنين: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾⁶³¹.

الجواب: هذا الاعتراض على النص الصريح الواضح للحديث الصحيح لا يصيب، لأن

الحديث يصرح بجملة الشرطية سواء في شرطه، أو في جوابه بلفظ واحد، حيث يفهم بوضوح

أن المقصود منه نفس الفعل، وهو السؤال والاستعانة الذي يجب أن يوجه إلى الله وحده

مباشرة، وليس أثر الفعل أو نتيجته. فلذلك نجد ما بعده من بيان سبب هذا التشريع من أن

المدعويين - بالجمع على سبيل المبالغة - بسؤال الأشياء أو الاستعانة، لا ينفعون ولا يضرون،

فالنافع والضرار هو الله - تعالى -، فهذا الكلام طبعاً في حقيقة تأثير أفعال العباد مجتمعين أو

منفردين لبعضهم، وهم في حالة كونهم أحياء، وليس فيه إشارة إلى تأثير أفعال الأموات

للأحياء.

2- استدل⁶³² أيضاً بقوله - صلى الله عليه وسلم -: "إنه لا يستغاث بي"⁶³³.

⁶³⁰ القرآن الكريم. سورة الأنفال: 8: 60.

⁶³¹ القرآن الكريم. سورة الكهف: 18: 95.

⁶³² ابن تيمية. 1422 هـ. قاعدة جلية في التوسل والوسيلة. ربيع بن هادي عمير المدخلي. عجمان: مكتبة الفرقان. ص. 254.

287. ابن تيمية. 1416 هـ. مجموع الفتاوى. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد. ج. 1. ص. 101.

110، 303، 329.

⁶³³ أحمد بن حنبل. 1421 هـ. مسند أحمد. شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج. 37. ص. 380. رقم الحديث 22706. بلفظ: "لا يقام

لي وإنما يقام لله". درجة الحديث: إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة، وإلحاق الراوي عن عبادة.

وجه الدلالة: ظاهر المنع منع الاستغاثة بالأحياء والميت. فالمعنى الحديث هو؛ لا يطلب

مني إنزال المطر، لأن الغيث معناه المطر، أو يكون المعنى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا

يستغاث به -وهو حي- فيما اختص به الله -عز وجل- من الرزق والشفاء، ووهب الذرية

وغيرها مما لا يمكن أن يفعل بما غير الله، أما ما بعد الموت، فمن باب الأولى. ثم اختص

ظاهر هذا الحديث بفعل الصحابة الذين يطلبون من النبي -صلى الله عليه وسلم- الدعاء

لإنزال المطر، فيكون استغاثة بالأموات باق على حكم الأصل.

3- وسؤال الخلق في الأصل محرم، لكنه أبيع للضرورة، وتركه توكلأ على الله -تعالى- أفضل، قال

تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَتْ فَلْنَسْتِ﴾ ⁶³⁴ ﴿وَالْإِلَهِاتِ فَارْغَبْ﴾ أي ارغب إلى الله -تعالى-، لا

إلى غيره ⁶³⁵

وقد ألف ابن تيمية كتاباً سماه "قاعدة جلية في التوسل والوسيلة"، وذكر فيه كلاماً طويلاً

وأتى بأدلة كثيرة تذكّر بخصوص الموضوع، وكذا كتاب "التوصل إلى حقيقة التوسل" لأبي

غزوان محمد نسيب، وكتاب "التوسل أنواعه وأحكامه" للألباني، وغير ذلك من المصنفات

الخاصة بالموضوع.

المذهب الثاني: يجوز التوسل بمن قد توفي من الصالحين، والاستشفاع بقبورهم. واحتجوا ⁶³⁶ بما يأتي:

1- حديث استشفاع بمقام الرسول -صلى الله عليه وسلم- عند القحط. فقد أورد في الأثر

الصحيح الذي رواه ابن أبي شيبه والبيهقي، عن مالك الدار قال وكان خازن عمر على

⁶³⁴ القرآن الكريم. سورة الشرح: 98: 7-8.

⁶³⁵ ابن تيمية. 1422 هـ. قاعدة جلية في التوسل والوسيلة. ربيع بن هادي عمير المدخلي. عجمان: مكتبة الفرقان. ص. 54.

⁶³⁶ محمود صبيح. 2008 م. أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأهل بيته. القاهرة: دار جوامع الكلم. ص.

الطعام، قال: "أصاب الناس قحط من زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام فقيل له: انت عمر، فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقون، وقال له: عليك الكيس عليك الكيس، فأتى عمر، فأخبره فبكى عمر ثم قال: "يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه"⁶³⁷.

وجه الاستدلال: أن هذا العربي يأتي إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- واستشفع به، ولم ينكر عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في منامه ولا عمر بقوله: "لما جئت إلي أو إلى قبري" وغير ذلك من الأقوال، بل الظاهر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أرشده واستجاب قوله ووجهه إلى ما يسد حاجته.

الأعراض: قول المطر بعد أداء سيدنا عمر صلاة الإستسقاء، وليس بعد رجوع عربي من عند مقامه -صلى الله عليه وسلم-، دليل على أن التوسل لا يجوز بالموات.

المذهب الثالث: إن الخلاف الذي وقع بين أصحاب المذهب الأول والثاني، إنما الخلاف الشكلي، وليس الجوهرى. حيث يعتبر أن من توسل بالشخص ضرب من الختان العقلي، أو حذف منه المضاف، لأن من توسل بشخص ما لا يتوسل به إلا لمحبة نفسه إذا تدبر الأمر، وجد أن هذه المحبة من عمل المتوسل، لأنه اعتقاده الذي انعقد عليه قلبه، فهو منسوب إليه ومثاب عليه، لأنه يحب من يحب الله ويقوم بأعمال الصالحات، فمن قال: اللهم إني أتوسل إليك بنبيك، فهو من قال: اللهم إني أتوسل إليك بمحبي لنبيك سواء لأن لولا محبة له ما توسل به. ولكن أكثر المتوسلين يتساحون في التصريح، فهو على تقدير حذف

⁶³⁷ ابن أبي شيبة، أبو بكر. 1409 هـ. مصنف ابن أبي شيبة. كمال يوسف الحوت. كتاب الفضائل. باب ما ذكر في فضل عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه-. ج. 6. ص. 356. رقم الحديث 32002. درجة الحديث: إسناده صحيح.

المضاف أو من المجاز العقلي⁶³⁸. وقد ذكر ابن تيمية أن من توسل إلى الله -تعالى- بإيمانه، أو بمحبته فذلك جائز بلا نزاع، وأنه مشروع، بل هو سأل بسبب عظيم يقتضي إجابة الدعاء⁶³⁹.

الاعتراض: لكن الذي يجري على ألسنة عوام الناس، أنهم لا يريدون هذا المعنى، بل منهم من قال: "يا حبيب نوح افعَل لي كذا"، فإنه لا يريد من ذلك "يا رب حبيب نوح" على حذف المضاف كما قاله الفريق الثاني، بل أراد من ذلك توجه الطلب إلى غير الله -تعالى-، وقد ذكرت الباحثة محل اتفاق بين مذاهب العلماء في أول هذا المطلب. والدليل على ذلك، أن هذا المتوسل لم يكن من محبي الحبيب نوح والصالحين، لأنه لم يعمل بعملهم، ولم يقيم بما قامه الصالحون. وأكثرهم يجعلون الصالحين كـ "باب الطوارئ". أي أنهم لا يعملون ويصومون ولا يعملون الصالحات، ولا يقتدون بالصالحين، ولم يزوروا قبراً قط ليتذكروا الآخرة، فحين نزل بهم الأمر عرفوا أن ربه مسحط عليهم، فبحثوا عن الصالحين وتوسلوا بهم، والحقيقة أنهم توسلوا بالصالحين بينهم وبين الله -تعالى-. ثم منهم من قد قبض على جريمتهم، كالراشي والمرتشي والظالم، فيأتون إلى قبر الصالحين، وطلبوا منهم وتوسلوا بهم، مع أن الحقيقة توسلوا بهم بينهم وبين رب العالمين.

ومن أمثال المصنفات التي تتكلم عن التوسل والوسيلة وتؤيد على وجهة نظر هذا الفريق، الكتاب "إتحاف الأذكياء في التوسل بالأنبياء والصالحين والأولياء" للمحدث عبد الله العماري، والكتاب "حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة" لموسى محمد علي، والكتاب "أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأهل بيته" لخمود صبيح المصري.

638 الحسني المالكي، محمد علوي. د. ت. مفاهيم يجب أن تصحح. ص. 61.

639 ابن تيمية. 1999 م. قاعدة جلية في التوسل والوسيلة. عبد القادر الأرناؤوط. ص. 96.

الترجيح: ترى الباحثة أن طلب الأموات لا يجوز؛ لأنه يخالف ظاهر النص الذي استدل به الرأي الأول. فعلى من أراد أن يتوسل بمحبته للصالحين أو الأنبياء، فعليه أن يظهر ذلك في دعائه فيقول: "اللهم بمحبتتي للصالحين، افعل لي كذا وكذا" فهو في الحقيقة توسل بعمله، كما قاله ابن تيمية⁶⁴⁰. فلا يحدف المضاف لأن الشيطان قد يشوش عليه، فيعتقد أن المتوسل به قادر على فعل كذا وكذا، وقد أجمع على التحريم ذلك.

وجاء في فتاوى الشيخ محمد عبد الوهاب قوله: "فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي -عليه الله عليه وسلم-، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا: قول الجمهور: إنه مكروه، فلا ننكر على من فعله؛ ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، لكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله -تعالى-، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفرج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإعطاء الرغبات. فأين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين لا يدعو مع أحد أحدًا، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك، أو بالمرسلين، أو بعبادك الصالحين، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين، فأين هذا مما نحن فيه؟"⁶⁴¹.

⁶⁴⁰ محمد زكي إبراهيم. 1425 هـ. الإنهاك والإنعام في ضوء سماحة الإسلام. محي الدين حسين يوسف الأسوي. 1425 هـ. ص.

20. ابن تيمية. 1999 م. قاعدة جلية في التوسل والوسيلة. عبد القادر الأرنؤوط. ص. 104-105.

⁶⁴¹ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي. د. ت. فتاوى ومسائل (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الرابع). صالح بن عبد الرحمن الأطرم، محمد بن عبدالرزاق الدويش. السعودية: جامعة الأمام محمد بن سعود. ص. 68-69.